# قرآن الشيعة في الدراسات الغربيّة (*)

جونا وينتر[*]

## الملخّص

إنّ حجم العمل الاستشراقي والغربي في موضوعات وقضايا التشيّع لم يكن كافيًا لتوحيد الآراء الأكاديميّة الغربيّة العامّة حول الكثير من التفاصيل التي تدور في فلكه، وأكثر ما يبرز هذا الأمر في القضايا الحساسة مثل قضية القرآن في الفكر الشيعي التي ركّز عليها الباحثون في النقاشات الدائرة منذ انطلاق الدراسات حول التشيّع، وهي واحدة من أولى المسائل التي تناولتها المقالات الغربيّة، وفي هذا السياق يتناول

(*)- قرآن الشيعة في الدراسات الغربيّة واحد من سلسلة بحوث تخصّصية كتبها باحثون وأكاديميون غربيون حول القرآن الكريم في المنظور الفكري والعقائدي الشيعي، وهو للباحث جونا وينتر Jonah Winter، وبغضّ النظر عن نظرتهم العلمية للموضوع وما تحمله من أخطاء أو شبهات أو افتراءات أحيانًا، فإنّا ونظرًا لحساسية الموضوع قد أضفنا تعليقات نقديّة وتوضيحيّة في الهوامش لتستبين الرؤية الإسلاميّة والشيعيّة في ما طُرح من أفكار. مع الإلفات إلى أنّ كل ما ورد في النص الأصلي هو للكاتب الغربي مع الدقة في ترجمة ما استخدمه من مصطلحات، وإن كان بعض ما أورده قد لا ينسجم مع سياسات المجلة، لكن لا بد من العرض والمناقشة والإيضاح.

[*]- Jonah Winters, University of Toronto, Comparative Religion, Alumnus* (خريج جامعة تورنتو- قسم مقارنة الأديان) * URL: https://bahai-library.com/winters_shii_quran/

- تعريب: زينة الجمّال "Lot's daughters in the Qur'an: an investigation through the lens of intertextuality",

الباحث في هذا المقال مسألة قرآن الشيعة في الدراسات الغربيّة من خلال تعقّب مسار اختلاف آراء الباحثين حول مسألة القراءات المتعدّدة للقرآن، والمزاعم الشيعيّة القديمة ـ بحسب الباحث ـ التي تتمحوّر حول فقدان النسخة الأصليّة من القرآن وتراجع تلك المزاعم عبر الزمن، حتى وصل الأمر بالشيعة إلى ادّعاء قبول النسخة القرآنيّة العثمانيّة المتعارف عليها. وقد كثرت الدراسات الرصدية في هذا المجال، وأولى هذه الدراسات حينها كانت لـ«تود لاوسون»، تلك الدراسة التي اتّخذت طابعًا رصديًّا، ونُشِرَت عام ١٩٩١ تحت عنوان «مذكّرة حول دراسة قرآن الشيعة».

وتُبرز هذه الدراسات وجود قراءات متعدّدة ومتباينة للقرآن -بعد وفاة محمّدﷺ- لكن من غير تحديد عدد المتغيّرات واختلافها عن النسخة العثمانيّة. وهذه الحالة من عدم اليقين منحت الشيعة بابًا لادّعاء وجود نصٍّ أصليٍّ يمنح الشرعيّة لعليّ وأهل بيت محمّدعليهم السلام لقيادة الأمّة -كما يذكر الباحث-. كما أنّ حالة عدم اليقين هذه، وفّرت فرصة مقابلة لخصوم الشيعة تخوّلهم نسبة هذه الآراء زورًا للشيعة، وذلك بهدف تصويرهم كهراطقة، وبالتالي تشويه سمعة مذهبهم. ويشير الكاتب إلى أنّ عددًا قليلاً من المتغيّرات والاختلافات النصيّة التي ظهرت يمكن نسبتها للشيعة، والسورتان اللّتان تم اكتشافهما [سورة النور وسورة الولاية] زائفتان وملفّقتان.

**كلمات مفتاحية:** قرآن الشيعة، التشيّع، المسيحانيّة [المهدويّة]، السلطة الشرعيّة، شيعة عليّ، محمّد.

## أوّلًا: موضوعات التشيّع والقرآن

قبل الشروع في البحث عن التشيّع والقرآن، لا بدّ من تحديد الموضوعات الأساسيّة التي تُعدّ من الأحداث الأكثر أهميّة في المدرسة الشيعيّة، ألا وهي: الاستيلاء على السلطة الشرعيّة [الخلافة]، تفشّي الظلم والاضطّهاد، والمسيحانيّة [المهدويّة].

إنّ الدافع الرئيس لظهور شيعة عليّ عليه السلام، أو حزب عليّ عليه السلام، هو النيّة المفترضة لمحمّد صلى الله عليه وآله لتخليف عليّ عليه السلام كقائد للأمّة من بعده، ذلك العزم الذي تمّت عرقلته من قبل أطراف أخرى. ويُزعَمُ أنّ أدلّة تنصيب عليّ عليه السلام من قبل محمّد صلى الله عليه وآله كثيرة، إلاّ أنّ غالبيّة هذه الأدلّة تمّ إخفاؤها أو إتلافها من قبل أعداء عليّ عليه السلام[١]. تشمل تلك الأدلّة أحاديث مرويّة عن النبيّ صلى الله عليه وآله، وتوصيات تمّ توجيهها للمجتمع، بالإضافة إلى توجيهات جاء ذكرها في القرآن.

بعد وفاة محمّد تآمر مغتصبو الخلافة على تجاهل التوجيهات النبويّة، وعملوا فيما بعد على حذف تلك الأحاديث [أحاديث الولاية] من التراث الروائيّ. ويعتقد الشيعة أنّ النسخة القرآنيّة الوحيدة غير المحرّفة[٢] والتي تتضمّن الآيات التي جاء فيها

---

[١]- لا شكّ في أنّه قد بُذلت جهود كبيرة وتزويرٌ للكثير من صفحات التاريخ في إخفاء فضائل الإماك علي عليه السلام، وخصوصًا تلك التي تدلّ على إمامته وخلافته، بل قد عمدوا إلى نسبة الفضائل الواردة في حقّ عليّ عليه السلام إلى أنفسهم، وخصوصًا معاوية بن أبي سفيان، وأخرج ابن الجوزي أيضًا من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل: سألت أبي ما تقول في علي ومعاوية؟ فأطرق ثم قال: اعلم أن عليًّا كان كثير الأعداء، ففتش أعداؤه له عيبًا، فلم يجدوا، فعمدوا إلى رجل قد حاربه فأطروه كيادًا منهم لعلي، فأشار بهذا إلى ما اختلقوه لمعاوية من الفضائل مما لا أصل له. (ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ج٧، ص١٣١). وقد كتب معاوية إلى عمّاله: «إن الحديث في عثمان قد كثر وفشى في كل مصر وفي كل وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين، ولا تتركوا خبرًا يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وأتوني بمناقض له في الصحابة مفتعلة؛ فإن هذا أحب إليَّ وأقر لعيني، وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته، وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله». (ابن أبي الحديد المعتزلي، شرح نهج البلاغة، ج١١، ص٤٥).

ولكن كثرة فضائله عليه السلام وبلوغها من الشهرة حدًّا كبيرًا قد حال دون نجاح هذه المحاولة في إخفائها أو إتلافها، فما ذكره الكاتب في المتن من أنّ غالبية هذه الأدلة تمّ إخفاؤها أو إتلافها من قبل أعداء علي عليه السلام غير دقيق؛ ولذا نُقل عن بعض الفضلاء (نسبه البعض إلى الشافعيّ) قوله في حقّ علي عليه السلام: «ما أقول في شخص أخفى أعداؤه فضائله حسدًا، وأخفى أولياؤُه فضائلَه خوفًا وحذرًا، فظهر في ما بين هذين فضائل طبقت الشرق والغرب» (العلامة الحليّ، كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين، ص٤. وانظر: الحافظ رجب البرسي، مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين، ص١٧١). قال أحمد وإسماعيل القاضي والنسائي وأبو علي النيسابوري : لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الجياد أكثر مما جاء في علي» (ابن حجر العسقلاني، م.س، ص٨٧). (المُعرِّبة).

[٢]- نسبة هذا الاعتقاد إلى الشيعة ليس في محلّه كما سيتضح أيضًا في البحث نفسه، فإنّ ما يعتقده الشيعة في نسخة أمير المؤمنين عليه السلام ليس أنّها قرآن في مقابل القرآن.

ذكر المكانة المتعالية التي يحظى بها عليّ عليه السلام والأئمّة عليهم السلام، كانت بحوزة عليّ عليه السلام، وحين عرضها على الأمّة والصحابة بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله رفضوها[1]، ولجأوا عوضًا عن

[١]- ثمّة إشكالية فهم حقيقية لدى كثيرين حول ما يُسمى مصحف علي عليه السلام، فإنّ المقصود بمصحف علي عند الشيعة ليس هو قرآن مقابل هَذا القرآن الذي بين أيدي المسلمين جميعًا، بل سنوضح المعنى المقصود به، ولكن نبيّن قبل ذلك بعض المسائل بشكل سريع، فإنّه ممّا لا شكّ فيه أنّ النبي محمّدًا صلى الله عليه وآله قد اهتم اهتمامًا خاصّا بتربية علي عليه السلام وتعليمه [يقول أمير المؤمنين عليه السلام في بيان التربية النبوية له: «وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة. وضعني في حجره وأنا ولد يضمني إلى صدره، ويكنفني إلى فراشه، ويمسني جسده ويشمني عرفه. وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه. وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل... ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علمًا ويأمرني بالاقتداء به. ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء، فأراه ولا يراه غيري. ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وأنا ثالثهما. أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه» (الشريف الرضي، نهج البلاغة، ج٢، ص١٥٧.)]، فقد علّمه رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب من العلم يفتح له من كل باب ألف باب (المفيد، الاختصاص، ص٢٨٣)، وفي خصوص القرآن الكريم يقول علي عليه السلام: «ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملأها عليّ، فكتبتها بخطي وعلّمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها...». وعنه (عليه السلام) أيضًا: «كنت إذا سألت رسول الله أجابني وإن فنيت مسائلي ابتدأني، فما نزلت عليه آية في ليل ولا نهار ولا سماء ولا أرض ولا دنيا ولا آخرة ولا جنة ولا نار ولا سهل ولا جبل ولا ضياء ولا ظلمة إلا أقرأنيها وأملاها عليَّ وكتبتها بيدي وعلمني تأويلها وتفسيرها ومحكمها ومتشابهها وخاصَّها وعامَّها، وكيف نزلت وأين نزلت، وفيمن نزلت إلى يوم القيامة، دعا الله أن يعطيني فهمًا وحفظًا فما نسيت آية من كتاب الله ولا علم من نزلت إلا أملاه عليّ». وروى ابن سعد في طبقاته أنّ عليًّا عليه السلام كان ينادي المسلمين: «سلوني عن كتاب الله، فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار، في سهل أم في جبل...». (انظر حول هذه الروايات: عيون أخبار الرضا، ج٢، ص٦٧؛ العياشي، تفسير العياشي، ج١، ص٢٥٣).

ولذا إنّ رَسُول الله صلى الله عليه وآله في مرضه الذي توفي فيه أوصى عليًّا بجمع القرآن، فقال له: «يا علي! القرآن خلف فراشي في الصحف والحرير والقراطيس فخذوه واجمعوه ولا تضيعوه كما ضيّعت اليهود التوراة. فانطلق علي فجمعه في ثوب أصفر، ثم ختم عليه في بيته، وقال: لا أرتدي حتى أجمعه، فإنه كان الرجل ليأتيه فيخرج إليه بغير رداء حتى جمعه». (القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي، ج٢، ص٤٥١).

ويمتاز مصحف الإمام علي (عليه السلام) بأنّ الترتيب فيه حسب النزول، قراءته وفق قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله، اشتماله على التنزيل والتفسير والتأويل، والمحكم والمتشابه، تقديم المنسوخ على الناسخ... إلخ من الخصائص. (انظر: المفيد، المسائل السرورية، ص٧٩).

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «ما ادّعى أحد من الناس أنّه جَمع القرآن كلَّه كما أنزلَ إلاّ كذّاب، وما جمَعه وحَفظه كما نزله الله إلاّ عليّ بن أبي طالب والأئمة من بعده». (الكليني، الكافي، ج١، ص٢٢٨).

ولما جمعه عليه السلام جاء به إلى القوم، وقال: «هذا كتاب ربكم كما أُنزل على نبيكم، لم يزد فيه حرف، ولم ينقص منه حرف، فقالوا: لا حاجة لنا فيه عندنا مثل الذي عندك»، فعاد بعد أن ألزمهم الحجَّة. وفي رواية أن عليًا قال لهم: «أما والله ما ترونه بعد يومكم هذا أبدًا، إنما كان عليَّ أنني أخبركم حين جمعته لتقرأوه». (الصدوق، الاعتقادات في دين الإمامية، ص٨٦).

أمّا سبب الرفض في قولهم: «عندنا مثل الذي عندك»، ليس هو السبب الحقيقي، فلا يمكن لأحد غير علي عليه السلام أن يجمعه، [روى محمّد بن سيرين عن عكرمة، قال: لمّا كان بدْء خلافة أبي بكر، قعَد عليّ بن أبي طالب في بيته يجمع القرآن، قال: قلت لعكرمة: هل كان تأليف غيره كما أُنزل الأوَّل فالأوَّل؟ قال: لو اجتمعت الإنس والجنُّ على أن يؤلِّفوه هذا التأليف ما استطاعوا. قال ابن سيرين: تطلَّبت ذلك الكتاب وكتبت فيه إلى المدينة، فلم أقدر عليه. (السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ج١، ص٢٠٩. وابن سعد، الطبقات، ج٢، ص١٠١)] بل أنهم عرفوا بواسطة القرائن والشواهد العديدة أنّه هناك تفسير للآيات لا يتوافق مع أجندتهم السياسية ومخططاتهم، منها ما ورد فيه من أسماء أهل الحق والباطل، ولذا ورد عنه عليه السلام: «فلما وقفوا على ما بيَّنه الله من أسماء أهل الحق والباطل، وأن ذلك أظهر نقص ما عهدوه قالوا: لا حاجة لنا فيه، نحن مستغنون عنه بما عندنا». (الطبرسي، الاحتجاج، ج١، ص٣٨٣).

ذلك إلى جمع القرآن عبر القصاصات والسور المتبقيّة عند بعض الأفراد، بالإضافة إلى العديد من الآيات والسور التي كان قد حفظها الكثير من أفراد الأمّة، مستبعدين عمدًا الآيات التي تتناول موضوع الخلافة، وهكذا تمّت صياغة وتشكيل القرآن الموجود حاليًّا[١]. حافظ الأئمّة عليهم السلام على النسخة الأصليّة من القرآن [غير المحرّفة] وتناقلوها إمامًا بعد إمامٍ، وفي الوقت عينه، حفظوا هذه النصوص غير المحرّفة وعلّموها خلفاءهم، ولذلك، يعتبر الشيعة أنّ الأئمّة عليهم السلام هم المتفرّدون بمعرفة التعاليم النبويّة الحقّة من بين جميع أفراد الأمّة الإسلاميّة، بالإضافة إلى كونهم المصدر الموثوق الوحيد لتفسير القرآن.

الموضوع الثاني، هو الظلم والاضطّهاد، وهو مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالاعتقاد المشترك بين جميع المسلمين القاضي بوجود أبعاد ظاهريّة وأبعاد باطنيّة للقرآن. استفاد الشيعة من ذلك المعتقد لإظهار وإعلان معتقداتهم بشكلٍ علنيّ، إلّا أنّ هذا الإظهار العلنيّ تسبّب بتعرّضهم للاستهزاء والازدراء، واشتداد القمع المُمارَس عليهم، بالإضافة إلى قتل قادتهم، لذا عمد الشيعة إلى الاستعانة بفكرتين مترابطتين، وهما: التقيّة، والتفاسير الباطنيّة للقرآن. عادةً ما تُستَخدَم «التقيّة» للتعبير عن «التسترّ أو الإخفاء الدينيّ» وهو ما يسمح للشيعة بإنكار إيمانهم في الظروف التي تشكّل خطورة عليهم[٢]، وبتعبيرٍ آخر هذا ما يمكّن المؤمن [الشيعيّ] من الحفاظ على ولائه للتشيّع في حين أنّه يظهر اعتناقه للأرثوذوكسيّة[٣] -مثلاً- أمام الطّاغية أو الحاكم الظالم.

أمّا بالنسبة إلى التفاسير القرآنيّة الشيعيّة، فيجب القول إنّ الشيعة يركّزون على

---

نعم، كما وعدهم عليهم السلام بأنّهم لم يروا هذا المصحف، فإنّه انتقل منه إلى ابنه الحسن ثم الحسين وهكذا من يد معصوم إلى معصوم حتى وصل إلى يد صاحب العصر والزمان الإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف.

فقد سأل طلحة عليًّا أمير المؤمنين (عليه السلام): أخبرني عمَّا في يديك من القرآن وتأويله، وعلم الحلال والحرام، إلى من تدفعه ومن صاحبه بعدك؟ فقال عليه السلام: «إلى الذي أمرني رَسُول الله أن أدفعه إليه وصيِّي وأولى الناس بالناس ابني الحسن، ثم يدفعه ابني الحسن إلى ابني الحسين، ثم يصير إلى واحد واحد من ولد الحسين. حتى يرد آخرهم على رَسُول الله حوضه...». (الهلالي، سليم بن قيس، كتاب سليم، ص٢١٢).

[1]- al-Amin, Islamic Shi'ite Encyclopedia, vol. 1, p. 215.

[2]- Tabataba'i, Shi'ite Islam, p. 40, and p. 68, note 7, respectively.

[٣]- المقصود بالأرثوذكسية هنا العقيدة الرسمية التي تتبناها السلطة الحاكمة وتروّج لها. (المعرِّبة)

التميز بين المعاني الظاهريّة والمعاني الباطنيّة للآية القرآنيّة[١]، وتجدر الإشارة إلى أنّ الاعتقاد بوجود آيات محكمات وأخرى متشابهات مشترك بين الفريقين [السنّة والشيعة]، إلّا أنّ الشيعة ذهبوا إلى أبعد من ذلك، وقالوا إنّ الآيات ليست متشابهة أو محكمة فحسب، بل إنّ لكلّ آية بطونًا متعدّدة [مستويات مختلفة من المعاني]، معظمها معانٍ باطنيّة لا يمكن الكشف عن حقيقتها إلّا من قبل الإمام الذي يُعتَبَر

[١]- هناك روايات عدّة عن النبي وأئمة أهل البيتعليهم السلام تفيد أنّ القرآن له ظهر وبطن، فعن الإمام الصادقعليه السلام عن آبائه عن رسول اللهصلى الله عليه وآله في القرآن: «... وهو الفصل ليس بالهزل، له ظهر وبطن، فظاهره حكم، وباطنه علم، ظاهره أنيق، وباطنه عميق...» (الكليني، الكافي، ج٢، ص٥٩٩)، كما تفيد الروايات أيضًا أنّ المعرفة بظاهر القرآن وباطنه وفق المراد الجدّي لله تعالى مختصّ بالنبي والأئمةعليهم السلام، عن الإمام الباقرعليه السلام: « ما يستطيع أحد أن يدّعي أنّ عنده جميع القرآن كلّه، ظاهره وباطنه، غير الأوصياء». (م.س، ج١، ص٢٢٨). وهذان الأمران: أنّ للقرآن ظاهر وباطن، وأنّ معرفة

ظاهر القرآن وباطنه مختصّ بالنبي والأئمةعليهم السلام هو موضع اتّفاق علماء الشيعة، نعم وقع الخلاف بينهم في نقطتين:

الأولى: هل معرفة ظاهر القرآن وباطنه مختصّة بالأئمةعليهم السلام على نحو الحصر الحقيقي بحيث لا يمكن لغيرهم فهم القرآن مطلقًا، كما هو ظاهر رأي الأخباريين في العصور المتأخرة؟ أمّ أنّ معرفة ظاهر القرآن وباطنه تشمل غير الأئمةعليهم السلام من أهل الاختصاص والاجتهاد، ولكن بنحو يستلزم الاستعانة بما ورد عنهم ؏ من التفسير والتأويل والشرح والبيان و... لأنّهم الثقل الذي قرنه الرسول بالقرآن (كتاب الله وعترتي)، كما هو رأي غالب علماء الشيعة، بدليل أنّ علماء الشيعة يستشهدون بالقرآن، ويعتبرونه أحد مصادر الأدلة، ودوّنوا عشرات التفاسير في تفسير القرآن، وإلّا لو لم يكن المتخصص قادرًا على فهم القرآن، لما أمكن الاستشهاد به والاعتماد عليه في أصول العقيدة والفقه والأخلاق وغيرها، بل لما أمكن جعله هو الميزان والمرجع والضابط لتقويم الروايات، كما ورد في أحاديث العرض على كتاب الله تعالى: ما وافق كتاب الله فهو حقّ وما لم يوافق كتاب الله هو زخرف يضرب به عرض الجدار.

والنقطة الثانية: في تحديد المعنى المراد من ظاهر القرآن وباطنه. ومن جملة الآراء ما طرحه العلامة الطباطبائي، حيث يقدّم نظريته بدءًا من نموذج توضيحي، يقول الله تعالى في كلامه المجيد: ﴿وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا﴾، فظاهر هذه الآية الكريمة أنها تنهى عن عبادة الأصنام، ولكن بعد التأمل والتحليل يظهر أن العلة في المنع مَن عبادة الأصنام أنها خضوع لغير الله تعالى. وهذا لا يختص بعبادة الأصنام بل عبّر عز شأنه عن إطاعة الشيطان بالعبادة أيضًا، حيث قال: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾، ومن جهة أخرى يتبين أنه لا فرق في الطاعة الممقوتة بين أن تكون للغير أو للإنسان نفسه، فإن إطاعة شهوات النفس أيضًا عبادة من دون الله تعالى كما يشير اليه في قوله: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾. وبتحليل أدق نرى أنه لا بد من عدم التوجه إلى غير الله جل وعلا؛ لأن التوجّه إلى غيره معناه الاعتراف باستقلاله والخضوع له، وهذا هو العبادة والطاعة بعينها، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ﴾ إلى قوله ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾.

عند التدبر في هذه الآيات الكريمة نرى بالنظرة البدائية في قوله ﴿وَلاَ تُشْرِكُواْ به شَيْئًا﴾ أنه تعالى ينهى عن عبادة الأصنام، وعندما نتوسع بعض التوسّع نرى النهي عن عبادة غير الله من دون أذنه، وَلو توسعنا أكثر من هذا لنرى النهي عن عبادة الانسان نفسه باتباع شهواتها، أما لو ذهبنا إلى توسّع أكثر فنرى النهي عن الغفلة عن الله والتوجه إلى غيره.

إن هذا التدرّج، ونعني به ظهور معنى بدائي من الآية، ثم ظهور معنى أوسع وهكذا... جار في كل من الآيات الكريمة بلا استثناء. وبالتأمل في هذا الموضوع يظهر معنى ما روي عن النبيصلى الله عليه وآله في كتب الحديث والتفسير من قوله: «إن للقرآن ظهرًا وبطنًا ولبطنه بطنًا إلى سبعة أبطن».

وعلى هذا للقرآن ظاهر وباطن أو ظهر وبطن، وكلا المعنيين يرادان من الآيات الكريمة، إلا أنهما واقعا في الطول لا في العرض، فإن إرادة الظاهر لا تنفي إرادة الباطن وإرادة الباطن لا تزاحم إرادة الظاهر. (الطباطبائي، الشيعة في الإسلام، ص٨٣، والقرآن في الإسلام، ص٢٧). (التحرير).

الواسطة المتّصلة مباشرةً بالعلم الإلهيّ. وفي الواقع، رغم أنّ الكثير من الآيات تُعدُّ من المحكمات والتي تمتلك معنىً ظاهريًّا واحدًا، إلّا أنّ لكل آية من تلك المحكمات ٧ دلالات باطنيّة مختلفة[١]. هذه الآلية في التفسير مرتبطة بشكلٍ مباشرٍ بمبدأ التقيّة المُعتمَد من قبل الشيعة، ذلك أنّ تلك التفاسير الباطنيّة يجب عدم مشاركتها مع المسلمين الآخرين من غير الشيعة، ليس لأنّهم غير قادرين على فهمها فقط، بل لأنّ مشاركتها معهم غالبًا ما قد تعرّض الشيعة للخطر المحدق.

إنّ هذا التمييز بين المعاني الباطنيّة والمعاني الظاهريّة للآيات القرآنيّة أفضى إلى نتيجة أخرى أو اعتقادٍ آخر خاص بالشيعة، ألا وهو: عدم اقتصار دور الأئمّة على حصريّة استحواذهم على النسخة القرآنيّة الأصليّة[٢]، بل إنّ دورهم يتخطى ذلك ليصل إلى كونهم الوحيدين القادرين على تفسير معانيه الباطنيّة الحقيقيّة، لذا لا يمكن لأيّ شخص لم يلجأ إلى تفسير الأئمّة للقرآن، أن يفهم النصوص القرآنيّة بأيّ شكلٍ من الأشكال. كما أنّ القرآن بالنسبة إليه يُعتَبَر «صامتًا»، حيث إنّ الإمام هو القرآن الناطق. ولتأكيد مزاعمهم، يلجأ الشيعة إلى الآية ٧ من سورة آل عمران: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**﴾، فيقولون إنّ (الراسخون في العلم) هم الأئمّة عليهم السلام، إذًا لا أحد يقدر على فهم القرآن وتفسيره سوى اللّه تعالى والأئمّة عليهم السلام.

الموضوع الثالث: وهو المسيحانيّة [المهدويّة]، يشكّل عاملاً آخرًا لتكوين صورة عن النظريّات الشيعيّة حول القرآن، حيث يعتقد الشيعة أنّ الأمّة مع غيبة الإمام الثاني عشر [المهديّ عجل الله فرجه] لم تفقد التواصل معه فقط، بل فقدت أيضًا القرآن الأصليّ[٣]. وهنا لا بدّ

[1]- Khan, The Right Path, vol. I, p. 207.

[٢]- اتضح مما تقدّم في حاشية مصحف علي عليه السلام وحاشية توضيح معنى الظاهر والباطن، ما هو المقصود من النسخة الأصلية للقرآن عند الشيعة، وما هو دور الأئمة عليهم السلام في فهم القرآن وتفسيره. (التحرير).

[٣]- اتضح أيضًا مما تقدّم أن التعبير بفقدان القرآن الأصلي ليس صحيحًا بل المفقود هو القرآن بترتيب وتدوين وتفسير أمير المؤمنين عليه السلام، وإلّا فإنّ علماء الشيعة قد أجمعوا على أنّ القرآن الموجود بين أيدينا هو القرآن الذي نزل على النبي صلى الله عليه وآله، نعم، هذا لا يلغي وجود بعض الآراء التي تقول بتحريف القرآن بمعنى معيّن كما في رؤية بعض الأخباريين، ولكن هذا لا يُعبِّر عن رأي الشيعة الإمامية الرسمي، ونكتفي بالاستشهاد بقدماء علماء الإمامية المتصلين بزمن الغيبة في القرنين الرابع والخامس الهجريين.

قال الشيخ الصدوق (ت٣٨١): «اعتقادنا أنّ القرآن الّذي أنزله الله تعالى على نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله هو ما بين الدفّتين، وهو ما في أيدي النّاس ليس بأكثر من ذلك». (الاعتقادات، ص٨٤).

من العودة إلى موضوع التقيّة التي تمكّن الشيعة من إخفاء حقيقة أنّ إيمانهم يستند إلى القرآن الحقيقيّ الذي يعتقدون به، وتظاهرهم بقبول النسخة القرآنيّة المتعارف عليها بين المسلمين. كما أنّ الشيعة لا يخافون من ضياع أو فقدان القرآن الأصليّ، حيث إنّهم يعتقدون أنّ المهديّ عجل الله فرجه سيأتي بتلك النسخة عند ظهوره في آخر الزمان.

## ثانيًا: الدراسات الغربيّة وقرآن الشيعة

إنّ للقرآن تاريخًا مستقلاً[١] تطوّر ونما جنبًا إلى جنبٍ مع تطوّر الأمّة الإسلاميّة. كما يُنظَر إليه من قبل المسلمين كشخصيّةٍ حيّةٍ وديناميكيّةٍ لا ككتابٍ عاديٍّ كغيره من الكتب[٢].

اتّبع المستشرقون في دراساتهم القرآنيّة المسار نفسه الذي اتّبعوه في دراسة الإسلام بمجمله، حيث كان القرآن، ولقرونٍ عديدة، مهمّشًا من قبلهم باعتباره خليطًا وثنيًّا ومربكًا بالنسبة لهم[٣]، إلاّ أنّهم في العصر الحاليّ بدأوا بتبنّي مقاربة أخرى لفهم النصوص القرآنيّة، ولـ«فرانسيسكو غابرييلّي» في هذا المضمار رأيًا حول محمّد صلى الله عليه وآله والقرآن، يلخّص وجهات النظر القديمة التي كانت تسيطر على المشهد الاستشراقيّ، من الجدير نقله كاملاً: «لم يكن محمّدٌ ذلك المفكّر الفذّ[٤]، وهذا ما يؤكّده كتابه

---

وقال الشيخ المفيد (ت٤١٣هـ): «إنّه لم ينقص من كلمة ولا من آية ولا من سورة ولكن حذف ما كان مثبتًا في مصحف أمير المؤمنين عليه السلام من تأويله وتفسير معانيه على حقيقة تنزيله، وذلك كان ثابتًا منزلاً وإن لم يكن من جملة كلام الله تعالى...». (أوائل المقالات في المذاهب المختارات، ص٨١).

وقال الشيخ الطوسي (ت٤٦٠ه): «أمّا الكلام في زيادته ونقصانه فما لا يليق به أيضًا؛ لأنّ الزيادة فيه مجمع على بطلانها، والنقصان منه فالظّاهر أيضًا من مذهب المسلمين خلافه، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا، وهو الّذي نصره المرتضى (ره)، وهو الظاهر في الروايات، غير أنّه رويت روايات كثيرة من جهة الخاصّة والعامّة بنقصان كثير من آي القرآن، ونقل شيء منه من موضع إلى موضع طريقها الآحاد الّتي لا توجب علمًا ولا عملاً، والأولى الإعراض عنها، وترك التشاغل بها لأنّه يمكن تأويلها». التبيان في تفسير القرآن، ج١، ص٣. (التحرير)

[1]- Though al-Amini writes that the Ghadir Khumm did occur on 18 Dhu'l-Hijja (Eliash, 'Ali b. Abi Talib, p. 144).

[2]- Eliash, 'Ali b. Abi Talib, pp. 137ff., note 7, and Momen, Shi'i Islam, p. 82, note.

[3]- Quoted in Khan, The Right Path, vol. I, p. 206.

[٤]- مما يؤسف له أنّ الحقد يحجب الكثير من المستشرقين عن رؤية الحقيقة، فحتى لو لم توافق على أنّ محمّدًا نبيًّا إلاّ أنك لا تستطيع أن تنكر أنّه شخصيّة فذّة واستثنائية في التاريخ، ويكفي دليلاً على ذلك قدرته على إحداث تغيير لم تقتصر مفاعليه على الجزيرة العربية بل امتدت لتشمل نصف الكرة الأرضية، ويبنى حضارة من أعظم الحضارات في التاريخ البشري. يقول المستشرق الفرنسي جوستاف لوبون (١٨٤١-١٩٢١م): «وإذا ما قِيسَتْ قيمة الرجال بجليل أعمالهم كان محمد صلى الله عليه وآله من أعظم مَنْ عَرَفهم التاريخ، وأخذ بعض علماء الغرب يُنصفون مَحمدًا صلى الله عليه وآله، مع أن التعصب

الفوضويّ والمُبهَم الذي يدّعي محمّد أنّه عبارة عن كشوفات ووحي، ويعتقد أنّه تلقّاها من اللّه خلال عقدين من الزمن وجمعها بكلّ أمانة في هذا الكتاب، إلّا أنّ ذلك الوحي الشيطانيّ تراجع شيئًا فشيئًا إلى أن وصل إلى تقديم المواعظ والعبر ذات الطابع السطحيّ»[١].

وعلى الصعيد نفسه، يبدو واضحًا أنّ الباحثين [المستشرقين] المعاصرين يبدون احترامًا وتقديرًا للقرآن، حتى وإن كانوا لا يؤمنون بأنّه كلام اللّه، هذا التحوّل في المواقف تجاه القرآن يبدو واضحًا حتى في أوساط غير المتخصّصين كـ«كارين أرمسترونغ» التي طرحت رأيًا مقبولاً لدى المسلمين، حيث أقرّت قائلةً: «الإنسان الغربيّ ينظر إلى القرآن على أنّه كتاب صعب على الأفهام، وهذا يعود في أغلب الأحيان إلى مشكلة في ترجمته»[٢].

بقيت قضايا التشيّع خارج نطاق الدراسات الإسلاميّة، وعلى الرغم من العمل الجاري حاليًّا على موضوع التشيّع، إلّا أنّ حجم العمل لم يكن كافيًا لتوحيد الآراء الأكاديميّة العامّة حول الكثير من التفاصيل التي تدور في فلكه، وهذا ما يبدو جليًّا في مسألة قرآن الشيعة التي استحوذت على تركيز الباحثين في النقاشات الدائرة منذ انطلاق الدراسات حول التشيّع. وفي الواقع، تُعدّ مسألة قرآن الشيعة واحدة من أولى المسائل التي تناولتها المقالات الغربيّة، وما زالت تلك المسألة محورًا لأغلب النقاشات الدائرة إلى يومنا هذا.

هذا النوع من الأبحاث يتطلّب -نوعًا ما- شكلاً مختلفًا من العمل، وهذا ما سألفت الانتباه إليه بدايةً. المحور الأساس في هذا الصدد، ليس ما يتمّ بحثه واستنتاجه من قبل الباحثين فحسب، بل محتوى كتاباتهم وتوقيتها على وجهٍ خاص.

---

الديني أعمى بصائر مؤرخين كثيرين عن الاعتراف بفضله». ويقول مونتجومري وات في كتابه: «محمد في مكة»، ص٥٢: «إن استعداد هذا الرجل لتحمل الاضطهاد من أجل معتقداته، والطبيعة الأخلاقية السامية لمن آمنوا به واتبعوه واعتبروه سيدًا وقائدًا لهم، إلى جانب عظمة إنجازاته المطلقة، كل ذلك يدل على العدالة والنزاهة المتأصّلة في شخصه. فافتراض أن محمدًا مدّعٍ افتراض يثير مشاكل أكثر ولا يحلها. بل إنه لا توجد شخصية من عظماء التاريخ الغربيين لم تنل التقدير اللائق بها مثل ما فعل بمحمد». (المُعرّبة)

[1]- Khan, The Right Path, vol. I, p. 194, note 2.

[2]- Gimaret, trans. Shahrastani's Livre des religions, p. 479, note 16.

## قرآن الشيعة بين تعدد القراءات وفقدان النسخة الأصلية

وفي سياق هذا المقال، سأتناول مسألة قرآن الشيعة في الدراسات الغربيّة من خلال تعقّب مسار تطوّر المفهومين الأساسين اللّذين تمحورت حولهما الدراسات الأكاديميّة خلال القرن الماضي.

١. الموضوع الأوّل: اختلاف آراء الباحثين حول مسألة القراءات المتعدّدة للقرآن.

٢. الموضوع الثاني: المزاعم الشيعيّة القديمة التي تتمحوّر حول فقدان النسخة الأصليّة من القرآن، وتراجع تلك المزاعم عبر الزمن، حتى وصل الأمر بالشيعة إلى ادّعاء قبول النسخة القرآنيّة العثمانيّة المتعارف عليها.

كما تبيّن أنّ هذين الجانبين من مسألة قرآن الشيعة شكّلا المجال الرئيسّ للنقاش والخلاف في آخر ١٥٠ عامًا من تاريخ الدراسات[١].

## ثالثًا: القراءات المتعدّدة: سورتان جديدتان

إنّ التنقيحات النقديّة للقرآن المستَخدَمة كمعيارٍ اليوم، لا تُعتَبَرُ تنقيحاتٍ حصريّةٍ ومعتمدةٍ، إذ إنّ المجتمع الشيعيّ، وفي فترة معيّنة من تاريخه، طرح واحدًا من أبرز معتقداته القاضي بوجود نصٍّ قرآنيٍّ أصليٍّ وغير محرّفٍ، يتضمّن إعلانًا عن كون عليّ والأئمّةعليهم السلام هم الورثة الشرعيّون لمحمّدصلى الله عليه وآله.

جميع الفرق الإسلاميّة تقبل بحقيقة وجود قراءات متعدّدة للقرآن، لكن لا يمكننا القول إنّ جميع المسلمين مدركين لهذه الحقيقة، وهذا ما أشار إليه «داوود رهبر» حين كتب عام ١٩٦١: «معظم المثقّفين المسلمين في العالم ليسوا على علمٍ بأيّ اختلافات في المخطوطات القديمة، كما أنّهم لا يدركون حقيقة وجود قراءاتٍ متعدّدة، هذه الحقيقة التي من الممكن أن تشكّل صدمةً كبيرةً لدى المسلمين المعاصرين»[٢].

[1]- Quoted in Khan, The Right Path, vol. I, p. 209f.

[2]- Cf. Above, note 55.

ولفهم هذه المسألة، لا بدّ من الاطّلاع بشكلٍ موجزٍ على تاريخ النصّ القرآنيّ، وتاريخ الدراسات الغربيّة حول الموضوع.

تلقّى محمّدﷺ النصّ القرآنيّ من جبريل شفهيًّا، وبالطريقة ذاتها تمّ تناقله، عبر تلاوة النصوص القرآنيّة. في بداية الأمر، لم ترَ الأمّة الإسلاميّة حاجةً لحفظ القرآن كتابيًّا، إلّا أنّها بعد وفاة النبيّﷺ[١]، انخرطت في حروبٍ أودت بحياة العديد من القرّاء، ونتيجةً لذلك شعر المسلمون بخطر فقدان أجزاء من القرآن. وفي الوقت الذي كان فيه القرآن ما زال في مرحلة الحفظ الشفهيّ، بدأ أبو بكر بتجميع النصوص القرآنيّة لضمان حفظ القرآن وصيانته في حال وفاة جميع الحفّاظ. هذا الإعداد أو التجميع الذي قام به أبو بكر لم يأخذ بعين الاعتبار القراءات المتعدّدة، بل كان لمجرّد إدراكه ضرورة وجود مجموعة كاملة من النصوص القرآنيّة المكتوبة. فيما بعد، وخلال عهد عثمان بدا واضحًا لدى المسلمين وجود خلط واختلافات في النصوص المحفوظة، لذا بدأ عثمان بالعمل على جمع نسخة موّحدة ورسميّة، وبعد إصدار تلك النسخة الرسميّة بتوجيهٍ منه، أمر عثمان بإحراق جميع المخطوطات والنصوص الأخرى. هذا التدوين لم يمنع من التغييرات والتباينات المستقبليّة، حيث كانت النصوص في هذه النسخة بالحروف الساكنة (الخالية من التنقيط والتشكيل)[٢]، وكان الهدف من جمعه القرآن هو الحفاظ على الهيكل النصّيّ من أجل تفادي أي تحريف مستقبليّ. لهذا السبب ولغيره -كبدائيّة علم إملاء اللّغة العربيّة- بقيت التغييرات والاختلافات ممكنة. كان النصّ العثمانيّ يفتقر إلى تحريك الحروف، بالإضافة إلى أشكال الحروف الساكنة المتقاربة إلى حدٍّ بعيد[٣]، هذان العاملان أفسحا الطريق أمام الكثير

[١]- تبين في بعض الحواشي السابقة بأنّ القرآن كان مدوّنًا ومكتوبًا في عصر النبيﷺ (المعربة).

[٢]- المقصود بالحروف الساكنة هنا، الحروف غير المضبوطة، أي الخالية من الإعجام والتنقيط والتشكيل. والضبط على قسمين:

الأوّل: التنقيط (نقط إعجام)، وهو عبارة عن وضع النقط على الحروف للتمييز بينها عند التشابه في خطّ الكتابة، كالتمييز بين: ب-ت-ث أو ج-ح-خ.

الثاني: التشكيل (نقط إعراب)، وهو وضع الحركات على الكلمة، كالفتحة والكسرة والضمّة والسكون، لتمييز كلمةٍ تتشابه في الرسم مع كلمةٍ أخرى مثل: عُلِمَ، عَلِمَ، عِلْم، عُلّم، عَلَم، عَلّم. (المُعرِّبة)

[3]- Donaldson, The Shi'ite Religion, p. 4f., and Eliash, 'Ali b. Abi Talib, p. 134-154.

من الاختلاف في المعاني[١]، وعلى الرغم من ضآلة تلك الاختلافات اللّغويّة إلاّ أنّها تترك آثارًا هائلة على المعاني. فعلى سبيل المثال، كلمة «عليّ» يمكن تفسيرها بشكلين مختلفين حسب اللّهجة المنطوقة، حيث يمكن أن تؤخذ بمعنى الصفة، كما يمكن أن تُستَخدَم للدّلالة على الإقرار الإلهيّ بخلافة عليّ عليه السلام.

من بين كلّ تلك التباينات والقراءات المختلفة، تمّ توثيق واعتماد عدد قليل منها في القرن العاشر[٢]. أمّا المرحلة الأخيرة من عمليّة تدوين القرآن، فقد كانت في القرن العشرين، حين قامت لجنة الخبراء الملكيّة المصريّة بإصدار نسخة قرآنيّة موّحدة مضبوطة بالحركات عام ١٩٢٤م[٣]، تلك النسخة هي السائدة حاليًّا، مع الإبقاء على الاعتراف بالقراءات الأخرى.

لا شكّ في أنّ اختلاف القراءات وتعدّدها هو ما دفع عثمان إلى تقنين نسخة موّحدة من القرآن واعتمادها رسميًّا، إلاّ أنّ معظم المسلمين الساخطين على الحكم الأمويّ، لم يكونوا راضين عن مصحف عثمان، خصوصًا أنصار عليّ عليه السلام، هذه الاعتراضات العلويّة دفعت السنّة إلى ابتداع أحاديث تشير إلى أنّ عليًّا عليه السلام وافق وصادق على النصّ العثمانيّ مكرهًا[٤]. والجدير بالذكر، أنّ العنصر الأهمّ في هذه المسألة، وخصوصًا ما يدور حول النصوص -التي خضعت لتغييراتٍ- وعددها

[١]- توجد أمثلة كثيرة على كيفية انعكاس تعدد القراءات على الاختلاف في المعنى، نقدّم نموذجًا واحدًا ذكره السيد الخوئي (قده) في كتاب البيان في تفسير القرآن، ص١٦٤، والتنقيح في شرح العروة الوثقى، كتاب الطهارة، ج٧، ص١٧٩-١٨٠، فالآية القرآنية الكريمة: (ولا تقربوهن حتى يطهرن) رُويت بقراءتين: الأولى: قراءة حفص عن عاصم: (وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ)، والثانية: قراءة الكوفيين غير حفص: (وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطَّهَّرْنَ) فقراءة حفص فيها تسكين «ط» (يطهرن) وضمّ الـ(ه): (يَطْهُرْنَ)، أما قراءة غيره ففيها تشديد «ط» (يطهرن) وفتح الـ(ه): (يَطَّهَّرْنَ)، وهنا يختلف معنى الآية بل الحكم الشرعي باختلاف القراءة، فبناء على قراءة حفص تدل على أن الحكم بحرمة مقاربة الزوجة الحائض مغيّى بانقطاع الدم، فإذا انقطع دم الحيض ارتفعت الحرمة لارتفاع موضوعها، وحينها يجوز للزوج مقاربة زوجته قبل أن تغتسل من حدث الحيض، ولكن بناء على القراءة الثانية فإنّ الحكم بحرمة المقاربة مغيّىً بالتطّهر أي الاغتسال من الحيض، وحينها تستمر الحرمة ولا ترتفع إلاّ بالغسل، فإذا اغتسلت المرأة جاز لزوجها مقاربتها. (التحرير)

[2]- Encyclopaedia Islamica, 1913 sqq. ed. and 1960 ed., searching under "'Ali ibn. Abi Talib," "Shi'a," "Muhammad," "pen," "ink," "saqifa," "Banu Sa'ida," and "Sa'ida".

[3]- Gimaret, trans. Shahrastani's Livre des religions, p. 479, note 16.

[4]- Cf. Eliash, 'Ali b. Abi Talib, p. 153 and Donaldson, The Shi'ite Religion, p. 2.

وماهيّتها، بقي موضوعًا مُبهَمًا، لن يتمّ اكتشافه على الأرجح، وهذا ما جعل من موضوع قرآن الشيعة المحور الأكثر إثارةً للجدل في الدراسات الشيعيّة والاستشراقيّة على حدٍّ سواء.

أعتقد أنّ إلقاء نظرة على التاريخ الأكاديميّ -حسب التسلسل الزمنيّ- حول هذه المسألة سيكون أكثر وضوحًا وإيجازًا. إنّ مناقشة هذه المسألة -اختلاف الصيغ القرآنيّة لدى الشيعة- وعلى الرغم من تفعيلها، إلاّ أنّها كانت محدودة للغاية حتى وقتٍ قريبٍ نسبيًّا. فحسب معرفتي، لم يكن هناك سوى خمسة أعمال للباحثين الغربيّين تعالج هذه المسألة قبل عام ١٩٣٦. في أيّار (مايو) عام ١٨٤٢ نشر «غارسين دي تاسي» نصًّا لفصلٍ مجهولٍ من القرآن في المجلّة الآسيويّة، كما أرفق معه الترجمة الخاصّة به[١]، هذا النصّ حمل عنوان «سورة النورين»[٢]، و«النورين» هما محمّدﷺ وعليّ عليه السلام. وفيما بعد، علّق العديد من الباحثين على ذلك النصّ، فوجدوا معظم مصادره غامضة إلى حدٍّ ما[٣]. غير أنّ «أمير مُعِزّي» الذي يبدو أنّه وصل إلى التاريخ الواضح والكاتب الأصليّ لذلك النصّ، كتب عام ١٩٩٣ تعليقًا زعم فيه أنّ الكاتب الأصليّ هو شخصٌ زرادشتيّ إيرانيّ الجنسيّة كان قد هاجر إلى الهند في أواخر القرن السادس عشر أو مطلع القرن السابع عشر[٤]. هذه السورة التي تتألف من ٤٢ آية

[1]- Gimaret, trans. Shahrastani's Livre des religions, p. 479, note 16.

[٢]- تجدر الإشارة إلى أن ما يسمّى سورة النورين وسورة الولاية لم يردا في أي مصدر من مصادر الشيعة لا المعتبرة ولا غيرها، وليس لهما أي ذكر في المخطوطات القديمة، بل هما نصّان مخترعان نسبا إلى الشيعة في العصر الحديث كذبًا وزورًا، وفي ضوء منهجية تحليل المضمون لا تتناسب هاتان السورتان مع ما نعهده من أساليب القرآن الكريم في التعبير والتصوير و... وعلى كلّ حال، نص سورة النورين حسب ما نسبوه كذبًا إلى قرآن الشيعة، هو: «بسم الله الرحمن الرحيم * يا أيها الذين آمَنوا آمنوا بالنورين أنزلناهما يتلوان عليكم آياتي ويحذرانكم عذاب يوم عظيم.* نوران بعضهما من بعض وأنا لسميع عليم.* إن الذين يعرفون بعهد الله ورسوله في آيات لهم جنات نعيم.* والذين كفروا من بعدما آمنوا بنقضهم ميثاقهم وما عاهدهم الرسول عليه يقذفونه في الجحيم. * ظلموا أنفسهم وعصوا الوحي الرسول أولئك يسقون من حميم.* إن الله الذي نوَّر السموات والأرض بما شاء واصطفى الملائكة والرسل وجعل من المؤمنين أولئك من خلقه يفعل الله ما يشاء لا إله إلا هو الرحمان الرحيم. * قد مكر الذين من قبلهم برسلهم فأخذتهم بمكرهم إن أخذي شديد أليم.* إن الله قد أهلك عادًا وثمود بما كسبوا وجعلهم لكم تذكرة فلا تتقون.* وفرعون بما طغى على موسى وأخيه هارون أغرقته ومن تبعه أجمعين.* ليكون لكم آية وإن أكثركم فاسقون.* إن الله يجمعهم يوم الحشر فلا يستطيعون الجواب حين يسألون.* إن الجحيم مأواهم وإن الله حكيم عليم.* يا أيها الرسول بلغ إنذاري فسوف يعلمون...). (التحرير)

[3]- Encyclopaedia Islamica, 2nd ed., s.v. Ghadir Khumm, p. 993.

[4]- Eliash, 'Ali b. Abi Talib, p. 141 and p. 142, note 19.

تتناول مواضيع كالإيمان باللّه وباليوم الآخر، وتتشابه في الأسلوب بشكلٍ كبيرٍ مع الكثير من الآيات في المصحف الرسميّ المُعتَمَد [مصحف عثمان]. وفي الواقع لم أرَ ذلك النصّ إلّا عبارة عن اقتباسات من المصحف الرسميّ تم إضفاء تعديلات طفيفة عليها[١]. وفي العام التالي نشر «كاظم بيغ» نسخة منقّحة من ترجمة النصّ، مقسّمًا النصّ إلى آياتٍ بالإضافة إلى ضبطه بالتّحريك، لكنّه لم يتطرّق إلى المخطوطة الأصليّة التي استند إليها في تنقيحه.

حين سافر «كريس تيسدال» إلى الهند عام ١٩١٢، عثر على مخطوطة قرآنيّة عمرها حوالي ٢٠٠ إلى ٣٠٠ عام[٢]. تحتوي هذه المخطوطة على سورة لم تكن معروفة سابقًا، كما أنّها لم تكن جزءًا من أي طبعة رسميّة من القرآن، بالإضافة إلى عددٍ من الآيات الخاصّة التي انفردت بها تلك النسخة. هذه السورة التي تحتوي على ٧ آيات حملت اسم «سورة الولاية»[٣]. وفيما بعد، سارع «تيسدال» إلى نشر ترجمة لها، إلى جانب مجموعة قليلة من الآيات «الجديدة» في مجلّة «العالم الإسلاميّ» عام ١٩١٣. هذا المقال لـ«تيسدال» يُعدّ العمل الثالث المنشور باللّغة الإنجليزيّة والذي يعالج احتماليّة وجود نقصٍ في القرآن.

استنتج «تيسدال» أنّ هذه الأعمال الثلاثة -أي سورة النورين، سورة الولاية، الآيات الجديدة الأخرى- مزوّرة، لكن مع الأسف! لم تكن المصادر المتوفّرة لدي كافية لاكتشاف رأي «غارسين دي تاسي» و«كاظم بيغ» وإذا ما كانا يعتقدان أنّ تلك السورة (سورة النورين) حقيقيّة وموثوقة. لم تذكر أي من المصادر التي وجدتها استنتاجاتهما، باستثناء مصدر واحد يعود إلى «أمير مُعزّي» الذي يفصح عن الموقف تجاه تلك النصوص، لكن يبدو أنّ أمير قد ارتكب خطأً، حيث إنّه عالج تلك السورتين

[1]- Eliash, ʻAli b. Abi Talib, p. 142.

[2]- See: section 3.2, below.

[٣]- نص سورة الولاية المنسوبة كذبًا وتزويرًا إلى قرآن الشيعة كما أشرنا في الحاشية السابقة: (بسم الله الرحمن الرحيم * يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالنبي والولي اللذين بعثناهما يهديانكم الى صراط مستقيم * نبي وولي بعضهما من بعض وأنا العليم الخبير * إن الذين يوفون بعهد الله لهم جنات النعيم * والذين إذا تليت عليهم آياتنا كانوا بآياتنا مكذبين...) (التحرير)

باستفاضة في الفصل الفرعيّ المسمّى «ملاحظات حول القرآن المتكامل»[١]، قائلاً إنّ «غارسين دي تاسّي» يميل للاعتقاد بصحّتها، في حين أنّ «كاظم بيغ» يدحض صحّة السورة الأولى [أي يعتقد بصحّة الثانية]. يجب أن يكون هذا الخطأ من جانبه، لأنّ سورة الولاية كانت مجهولة بشكلٍ كاملٍ لدى الباحثين الغربيّين قبل اكتشافها من قبل «تيسدال» عام ١٩١٢، ولا يمكن أن يكون هذا الخطأ ناتجًا عن سوء قراءتي أو تفسيري نصّ «أمير معزّي» الذي لا يمكن أن يكون أكثر وضوحًا، ذلك النصّ الذي افتتحه «أمير» كاتبًا: «وبالعودة إلى «الفصلين المجهولين من القرآن»، سورة النورين وسورة الولاية...»، وأتبع أمير تلك الافتتاحيّة بالاقتباسات التي نقلتها مسبقًا[٢]. بصرف النظر عن هذه الشكوك وعدم اليقين الذي يشوب تلك المسألة، فإنّ للمجتمع العلميّ رأيًا واضحًا -نوعًا ما- حول موثوقيّة هاتين السورتين، حيث صرّح «فون غرونيبوم» عام ١٩٦١ أنّ التزوير فيهما واضح وجليّ[٣]. وهذا ما اتّفق عليه جميع الباحثين الذين درسوا الموضوع، وباستثناء «أمير معزّي» لم أجد أيّ مستشرق ولا أكاديميّ شيعيّ يبدي رأيًا معارِضًا لذلك[٤].

من المثير أن يتمّ ربط هاتين السورتين بالأجندات الشيعيّة القائمة على نقد مصحف عثمان. في الواقع، إنّ أغلبية الأبحاث التي تناولت تلك السورتين ركّزت بشكلٍ خاصٍّ على هذه المسألة، حيث نشر «جيفري» مقالاً في «مجلّة الدراسات الشرقيّة» عام ١٩٣٦ مقالاً تحت عنوان «قراءات زيد بن عليّ للقرآن»، وهذه كانت المرّة الأولى التي تعالَج فيها مسألة ارتباط التشيّع بالمتغيّرات القرآنيّة[٥]، وتبع ذلك المقال ما لا

[1]- John L. Esposito, Islam: The Straight Path (New York: Oxford University Press, 1988), p. 84.

[2]- Cf. Momen, Shi'i Islam, p. 153ff., "The Conferment of the Imamate by Designation or Covenant".

[3]- Encyclopaedia Islamica, 1913 sqq. ed., s.v. "'Ali b. Abi Talib," p. 284.

[4]- Muhammad Ben 'Abd al-Karîm Shahrastâni, Les dissidences de l'islam, trans. Jean-Claude Vadet (Paris: Librairie Orientaliste Paul Geuthner S.A., 1984), p. 146.

[5]- The following account is taken from al-Bukhari's "genuine" (sahih) collection of hadiths, accessed from the Internet (Linkname: Hadith Bukhari (English Translation); URL: http://www.isnet.org/cgi-bin/hadith/bukhari), trans. and ed. anonymous, Volume 1, Book 3, Number 114.

يقلّ عن ١٢ دراسة تتناول الموضوع نفسه، سنأتي على ذكر تلك الدراسات وبيانها فيما بعد[١]. يمكننا القول إنّ تلك الدراسات لم تخلص إلى النتائج نفسها، أي لم تتّفق على ربط مسألة المتغيّرات القرآنيّة بالتشيّع. وبعد الفحص والتدقيق الذي أجريته على الدراسات الاثني عشر التي ذكرتها مسبقًا، لم أجد سوى استنتاجٍ واحدٍ: لمّا كان إلصاق تلك البدع بالمفهوم الشيعي المُفترَض مثيراً للجدل، لجأ بعض الباحثين إلى نفي فكرة أن تكون هاتان السورتان من ضمن أعمال الشيعة. وبعد المزيد من البحث التحليليّ، تبيّن أنّه من المرجّح ألّا يكون للشيعة دور في إيجاد السورتين ونشرهما. لكن في المقابل، نجد مقالين فقط يربطان بين التشيّع وبين تلك الابتداعات النصيّة [السورتين]، إلّا أنّ هذين المقالين لم يأتيا على ذكر المسألة إلّا بشكلٍ عابرٍ، ولم يقدّما أيّ دليلٍ أو توضيحٍ إضافيٍّ. وفي واحدة من تلك الدراسات التي تمّ إجراؤها من قبل «فون غرونيبوم»، قال: «لقد ألقى الشيعة التُّهَم على كتّاب مصحف عثمان، وزعموا أنّهم لجأوا إلى حذف عدد من الآيات، أو حتى سورٍ كاملة تؤيّد معتقداتهم، والسورتان الشيعيّتان اللّتان ظهرتا، تُعدّان تزويراً واضحًا»[٢].

لم يقدّم «فون غرونيبوم» توضيحًا يفسّر جمعه للتشيّع والسورتين في السياق نفسه، كما أنّه لم يعُد إلى الحديث حول المسألة مرّةً أخرى. أمّا المقال الآخر الذي يبرز بدوره هذه الصلة، هو مقال لـ«بار آشر» حيث ذكر خلال تناوله لموضوع النصوص الشيعيّة ما يلي: «إنّ المخطوطة التي تمّ اكتشافها في بداية القرن العشرين (المخطوطة التي تعود لتيسدال)، تحتوي على سورتين ملفّقتين، فضلاً عن النسخ الشيعيّة البديلة لبعض الآيات القرآنيّة»[٣]. وكما هو الحال مع «فون غرونيبوم»، فإنّ «بار آشر» لم يقدّم أيّ توضيحات إضافيّة حول تصنيف تلك السور كسور شيعيّة، ولم يأتِ على ذكرهم مجدّدًا[٤].

ولا بدّ أن نذكر، أنّ مزيدًا من الدراسات المعمّقة أفضت إلى نتيجةٍ تتعارض مع

[1]- Quoted in al-Amin, Islamic Shi'ite Encyclopedia, vol. 1, p. 254.

[2]- Quoted in Khan, The Right Path, vol. II, p. 25.

[3]- Khan, The Right Path, vol. II, p 33, note

[4]- Quoted in Eliash, 'Ali b. Abi Talib, p. 84ff.

الفرضيّة المطروحة[١]. أشار «تيسدال» في مقاله الأصليّ الذي نُشِرَ عام ١٩١٣ إلى أنّ السورتين تُعدّان «إضافات شيعيّة»، إلّا أنّه ضعّف ذلك المدّعى مع ملاحظة عدم وجود أيّ شيعيّ يعتبر السورتين مقبولتين في النصّ الرسميّ، على الرغم من «كل المغريات التي قُدّمَت لهم»[٢]، كما أنّه لاحظ لاحقًا «المنفعة الضخمة التي تعود على الشيعة بقبولهم تلك الفقرات الإضافيّة، إلّا أنّهم رغم ذلك لم يفعلوا»[٣]. وهذا ما أدّى بـ«تيسدال» للوقوع في حيرة من أمره حول ما يظنّ أنّها تزييفات ابتدعها الشيعة، لكنّهم لم يحاولوا نشرها لسببٍ ما.

أمّا بالنسبة لـ«جوزيف إلياس»، فقال هو بدوره، إنّ الصلة الوحيدة التي تربط سورة الولاية بالتشيّع، هي كون اكتشافها تمّ في مدينةٍ معروفةٍ كمركزٍ للتعلّم الشيعيّ. أمّا بالنسبة إلى سورة النورين، فيشير «جوزيف إلياس» إلى أنّ مؤلّف المخطوطة التي تحتوي على هذه السورة، يتحدّث عن الشيعة من خلال استخدام ضمير الغائب[٤]، وعلى الرغم من عدم تصريح هذا المؤلّف الغامض بتوجّهاته الدينيّة، إلّا أنّ مقدمته تترك انطباعًا واضحًا لدى القارئ يدلّ على عدم كونه شيعيًّا.

وفي حين أنّ تلك المسألة المحدّدة لا تزال معرض النقاش، يمكنني طرح استنتاجيّ الأوليّ المستند إلى التمحيص والتدقيق في الإجماع العلميّ الذي يرجّح عدم كون السورتين المبتدعتين مرتبطتين بالشيعة.

## رابعًا: القراءات المتعدّدة: مجموعات من الآيات المختلفة

بعد مقال «تيسدال» -عام ١٩١٣- تمّ جمع بعض الاختلافات النصيّة ونشرها باللّغة الإنجليزيّة. ليس من الواضح إذا ما كانت هذه القائمة من الاختلافات تعود

[١]- أي كون السورتين مرتبطتين بالتشيّع. (المُعرِّبة)

[2]- See: Tabataba'i, Shi'ite Islam, page 69, note 11, for more, and full, references.

[3]- Momen, Shi'i Islam, p. 15

[4]- Donaldson, The Shi'ite Religion, p. 46.

إلى الشيعة أو إلى غيرهم. سآتي على ذكر كلّ واحدة من الدراسات وبيانها على حدة -حسب التسلسل الزمنيّ- قبل استخلاص النتائج. أوّلاً، بحث «جولدتسيهر» القضيّة في كتابٍ له أصدره عام ١٩٢٠ يحمل اسم «اتّجاهات التفاسير الإسلاميّة للقرآن»، إلّا أنّني لم أتمكّن من مناقشة هذا العمل، حيث إنّني لا أقرأ الألمانيّة. فيما بعد، عام ١٩٣٦، و١٩٣٧، قام «جيفري» بنشر اثنتين من أضخم الدراسات التي تناولت مسألة القراءات المتعدّدة، أولى هذه الدراسات كانت مقال «قراءات زيد بن عليّ»، أمّا الثانية، وهي الدراسة الأكثر شمولاً وتفصيلاً حتى الآن، فهي «مواد لتاريخ النصّ القرآنيّ»[١]، لكن لم يكن لدي إمكانية الوصول للعمل الأخير. بكلّ الأحوال، عالج «جيفري» الموضوع نفسه في المقال الأوّل الذي يتحدّث عن قراءات زيد بن عليّ، وزيد بن عليّ هو ابن الإمام الرابع «زين العابدين» عليه السلام، وحفيد الإمام الأوّل «عليّ» عليه السلام، بل أكثر من ذلك، كان «زيد» من أوائل علماء الدّين والكتّاب المسلمين البارزين، كما أنّه يحظى بالاحترام من قبل الشيعة والسنّة على حدٍّ سواء. كان «زيد» واحدًا من العديد من المسلمين الذين عملوا على جمع نسخة من القرآن. عمل «جيفري» على جمع آيات مصحف زيد المتباينة مع آيات مصحف عثمان والمغايرة لها، وترجمتها في دراسته. وجد «جيفري» بعضًا من هذه الآيات في المخطوطات المعروفة، وبعضها الآخر في مخطوطاتٍ كان قد عثر عليها عن طريق الصدفة[٢]. قائمة الاختلافات النصيّة التي جاء بها «جيفري»، كانت تحتوي على مواد كان قد تمّ نشرها مسبقًا، إلّا أنّ الغالب فيها يُعدُّ مادّةً تُقدّم للعالم الأكاديميّ للمرّة الأولى. ملأت تلك القائمة ٣٥ صفحة من المجلّة التي نُشِرَت فيها، حاول في نهايتها تحديد إذا ما كان ينبغي اعتبارها «قراءات شيعيّة». توصّل «جيفري» في النهاية إلى استنتاجين اثنين، الأوّل: إنّ نسخة زيد تُعتَبَر سليمة نسبيًّا، نظرًا لتطابق العديد من آياتها مع الآيات الموجودة في النسخ

[1]- E.g. Daftary, The Isma'ilis; Philip K. Hitti, History of the Arabs: From the Earliest Times to the Present (London: The MacMillan Press Ltd., 1970); Marshall G. S. Hodgson, The Venture of Islam. vol. 1: The Classical Age of Islam (Chicago: The University of Chicago Press, 1974); and W. Montgomery Watt, The Formative Period in Islamic Thought (Edinburgh: Edinburgh University Press, 1973).

[2]- al-Hilli, quoted in Eliash, 'Ali b. Abi Talib, p. 85.

القرآنيّة غير الرسميّة الأخرى[١]. الثاني: كون زيد شيعيًّا لا يحتّم اعتبار نسخته منحازة أو حزبيّة، لأنّ الاختلافات النصيّة التي جاء بها، غالبًا ما تتوافق مع تلك التي جاء بها الكتّاب السنّة كالحسن البصريّ، وفي بعض الأحيان على حساب توافقها مع النسخ الشيعيّة[٢]. وفي النهاية، يمكننا تلخيص استنتاج «جيفري» الذي يشير إلى ما يلي: إنّ كون نسخة زيد نسخة شيعيّة -تمّت على يد شخص شيعيّ- لا يُثبت اتّباع الشيعة في ذلك الزمان أجندة صريحة، يسعون من خلالها إلى إيجاد أخطاء في المصحف الرسميّ واستبداله بآخر شيعيّ.

بعد هذه الدراسة لـ«جيفري» توقّفت الأبحاث حول الموضوع لفترة تقارب الـ٢٥ عامًا، إلى أن قام «داوود رهبر» بنشر مقالٍ في «مجلّة العالم الإسلاميّ» بين عامي ١٩٦١ و١٩٦٢، تحت عنوان «العلاقة بين عقيدة الشيعة والقرآن»[٣]. إلاّ أنّه في مقاله هذا لم يقدّم أيّ آيات جديدة، بل عَرَض تعليقاتٍ ورؤىً حول مواقف الشيعة إزاء القرآن، وتفسيراتهم له. استند «داوود» في دراسته تلك على أعمال «جيفري» التي تُعتَبَر الأعمال الوحيدة -بعد بحث «تيسدال»- التي تناولت الموضوع في حينها.

الدراستان قيد البحث في هذه الفقرة، قدّمت رؤىً أكثر عمقًا من تلك التي قدّمها «رهبر» مسبقًا، حيث تناولت هاتان الدراستان موضوعًا خاصًّا، ألا وهو موقف الشيعة إزاء السورتين[٤]. كتب «جوزيف إلياس» -وهو طالب في جامعة لندن- أطروحةً تتناول مكانة عليّ عليه السلام وموقعيّته في التراث الإثني عشريّ. حسب معرفتي، لم يتمّ نشر هذه الأطروحة، إلاّ أنّني تمكّنت من الحصول على نسخةٍ منها. بحثت هذه الدراسة الوضعيّة المزدوجة لعليّ عليه السلام في التراث الشيعيّ، حيث إنّ عقيدتهم تقضي بأنّ عليًّا عليه السلام أدنى روحيًّا من محمّد صلى الله عليه وآله، إلاّ أنّهم وفي الوقت عينه، يتعاملون معه

[1]- Eliash quotes from Rodwell's interpretation, citing it as verse 5:60, and he only mentions that part of the verse cited above. (Eliash, 'Ali b. Abi Talib, p. 21).

[٢]- أي في بعض الأحيان تتوافق مع النسخ السنيّة أكثر من توافقها مع النسخ الشيعيّة. (المُعرِّبة)

[3]- Eliash, 'Ali b. Abi Talib, p. 92, and Tabari, quoted in ibid., p. 152.

[٤]- سورة النورين وسورة الولاية المُكتَشَفة من قبل تيسدال. (المُعرِّبة)

بالدرجة نفسها من التعظيم والتبجيل الذي يتعاملون به مع النبيّ ﷺ[١]. قام «جوزيف» بإعادة طبع الفصل الخامس من هذا العمل، والذي يحمل اسم «عليّ مفسّر الشريعة: القرآن»، ونشره في مقالٍ مستقلّ عام ١٩٦٩ تحت عنوان «قرآن الشيعة: مراجعة في تفسير جولدتسيهر»[٢]. لم يكن هدف «جوزيف إلياس» من إجراء تلك الدراسة طرح اختلافات نصيّة جديدة، ولا حتّى مناقشة تلك التي نُشِرَت مسبقًا، بل كان يرمي إلى مراجعة استنتاجات «جولدتسيهر» التي طرحها ضمن عمله (اتّجاهات التفاسير الإسلاميّة للقرآن)، بما في ذلك وضعيّة السورتين. فضّلت أن أناقش دراسة «جوزيف» في هذه الفقرة بدلاً من مناقشتها في الفقرة السابقة، لأنّ أعمال «جولدتسيهر» و«جوزيف إلياس» لم تكن متمحورة حول السورتين بنفسيهما، بل مالت إلى إلقاء الضوء على المواقف الشيعيّة العامّة إزاء الاختلاف النصّي والقرآن الأصليّ.

جاءت الدراسة التالية بعد فترةٍ وجيزةٍ من مقال «جوزيف إلياس» الذي نشره عام ١٩٦٩، تعود هذه الدراسة لـ«إيتان كولبرغ»، الذي خصّص لها جزءًا في كتاب «الفلسفة الإسلاميّة والتراث الكلاسيكيّ»، تحت عنوان «بعض الملاحظات حول موقف الإماميّة إزاء القرآن»[٣]. لكن لسوء الحظّ، لم أتمكّن من الوصول لهذا العمل؛ لذا من الأفضل تخطّيه إلى عملٍ آخر.

انقطعت الأبحاث حول الموضوع لما يقارب العقدين، ثمّ عادت بعد ذلك بشكلٍ مكثّفٍ نوعًا ما. الدراسة الأولى التي جاءت بعد ذلك الانقطاع، لم تتمحوّر حول الاختلافات النصيّة الشيعيّة، إنّما عالجت الموضوع بشيءٍ من التفصيل. ففي عام ١٩٩٠ أصدر «مهدي عابدي» و«مايكل فيشر» كتابًا غريبًا إلى حدٍّ كبيرٍ يحمل اسم «مناقشات المسلمين: حوارات ثقافيّة حول ما بعد الحداثة والتقليد»[٤]. يناقش هذا

[1]- Momen, Shi'i Islam, pp. 18ff.; Donaldson, The Shi'ite Religion, pp. 10-13; and al-Amin, Islamic Shi'ite Encyclopedia, vol. 3, pp. 42-45.

[2]- al-Amin, Islamic Shi'ite Encyclopedia, vol. 3, pp. 42-43.

[3]- S. Husain M. Jafri, Origins and Early Development of Shi'a Islam (Librairie du Liban, London, 1979), pp. 37-57.

[4]- Momen, Shi'i Islam, p. 20.

الكتاب المعتقد والممارسة الإيرانيّة من منطلق أنثروبولوجيّ. وما يجعل منه كتابًا غريبًا، كونه نصًّا غير أكاديميٍّ واضحٍ، بل يُعَدُّ طرحًا يركّز على تيار الوعي ما بعد الحداثة. ناقش الفصل الثاني من الكتاب -وهو فصلٌ أكثر متانةً وجديّةً من غيره- قراءة المسلمين للقرآن عبر التاريخ، العلاقة بين التراث التفسيريّ للقرآن والسياسة المعاصرة، وكيف أثّرت تلك المحاور على الوعي الذاتيّ للفرد المسلم[١]. لم يقدّم هذا العمل استنتاجات حول موضوع قرآن الشيعة تختلف عن تلك التي ذكرناها في الدراسات السابقة[٢]، إلاّ أنّني حرصت على الإشارة إليه لاستكمال قائمة التحقيقات الأكاديميّة حول الموضوع.

كما ذكرنا مسبقًا، تكثّفت الأعمال حول الموضوع في الفترة الأخيرة، حيث شهد هذا العقد عددًا من الدراسات يوازي عدد الدراسات التي أجرِيَت في القرن الماضي. وأولى هذه الدراسات خلال هذا العقد من الزمن كانت لـ«تود لاوسون»، تلك الدراسة التي اتّخذت طابعًا رصديًّا، ونُشِرَت عام ١٩٩١ تحت عنوان «مذكّرة حول دراسة قرآن الشيعة»[٣]. قام «لاوسون» في الصفحات الخمسة الأولى من دراسته، بتقديم تلخيصٍ -شاملٍ وموجزٍ إلى حدٍّ كبيرٍ- للأعمال الغربيّة التي تمّ إجراؤها مسبقًا، بعد ذلك أفرد «لاوسون» ١٠ صفحات لتلخيص مواقف الأكاديميّين المسلمين إزاء المسألة، من كتاب الكافي (في القرن العاشر)، حتّى كتاب الصافي (في القرن السابع عشر). تعدُّ هذه القائمة -حسب معرفتي- القائمة الأكثر شمولاً التي تمّ نشرها باللّغة الإنجليزيّة. لا داعي لعرض استنتاجات «لاوسون» ههنا، حيث سيتمّ نقاشها في الفقرات اللاّحقة.

نشر «بار آشر» مقالاً عام ١٩٩٣ تحت عنوان «القراءات المتعدّدة وإضافات الإماميّة على القرآن»[٤]، وهي معالجة تامّة -أكثر من غيرها من الدراسات- لموضوع القراءات المتعدّدة للقرآن. وعلى الرغم من انتقادي لتقويم «بار آشر» للسورتين،

[1]- Quoted in Sharafuddeen, vol. 2, p. 61.

[2]- al-Amin, Islamic Shi'ite Encyclopedia, vol. 3, p. 44.

[3]- Shehabi, "Shi'a", p. 189.

[4]- Quoted in Donaldson, The Shi'ite Religion, p. 12.

إلاّ أنّني لا أنكر كونه صاحب فضل في إصدار ما كان الميدان العلميّ بحاجة إليه بالفعل، حيث جمع العديد من الآيات المختلفة التي تمّ طرحها في بحوثٍ سابقة في مكانٍ واحدٍ. لم يكن الهدف من هذه الدراسة إصدار مصنّف وافٍ وشاملٍ، حيث إنّ «جيفري» كان قد قام بعملٍ مشابهٍ في كتابه «مواد لتاريخ النصّ القرآنيّ»، بل هدف «بار آشر» كان وضع قائمة للآيات التي لم يأتِ «جيفري» على ذكرها، وفَرْزُها بغية تحديد الاختلافات ذات الطابع الشيعيّ الخاص[١]. وعلى الرغم من أهميّة هذه العملية وذاك الجهد، إلاّ أنّ هناك سببًا آخرًا يجعل من دراسة «بار آشر» بالغة الأهميّة، ألا وهو: إفراد النصف الأوّل من مقالته لدراسة المبادئ الأساسيّة التي ترتكز عليها القراءات الشيعيّة المختلفة، نوع الاختلافات بينها من جهة، واختلافاتها مع مصحف عثمان من جهة أخرى. وهذا البحث، يعدُّ بمثابة التحقيق الأوّل الذي يناقش هذا الموضوع الدقيق بهذا العمق.

قسّم «بار آشر» الآيات المعروفة إلى ٤ فئات[٢]، الفئة الأولى تشمل المتغيرّات الطفيفة كتبديل حرفٍ بحرفٍ آخر، أو حركةٍ بحركةٍ أخرى، أو زيادة حرف، أو حركة في مكانٍ ما. وهذا النوع من المتغيرّات هو الأكثر شيوعًا، وفي الحقيقة، إنّ القراءات السبع أو الأربع عشرة -المقبولة من قبل كلّ المسلمين- منبثقة عنه. الفئة الثانية تشمل تبديل كلمةٍ بكلمةٍ أخرى، كاستبدال كلمة «إمام» بكلمة «أمّة». الفئة الثالثة تشمل ترتيب تسلسل الكلمات، وهو النوع الأكثر قبولاً لدى الشيعة. أمّا الاعتقاد بأنّ عثمان كان قد أقصى قدرًا كبيرًا من النصّ القرآنيّ الأصليّ، فهو خاصٌّ بعلماء الشيعة في القرون الأربعة الأولى، وبفرق الغلاة. والرأي الأكثر انتشارًا لدى الشيعة إلى اليوم، يشير إلى أنّ النسخة العثمانيّة حافظت على النصّ الكامل، لكن بترتيبٍ وتسلسلٍ خاطئٍ[٣]. هذا التفسير الذي قدّمه الشيعة لتفسير الترتيب الملتبس للآيات والسور،

[1]- Donaldson, The Shi'ite Religion, p. 12.

[2]- Sharafuddeen, vol. 2, 62.

[٣]- أشرنا فيما سبق إلى أنّ الشيعة تعتقد أنّ مصحف أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بالمعنى الذي شرحناه سابقًا يختلف ترتيبه عن ترتيب المصحف الموجود حاليًّا بين أيدي المسلمين، فقد رتّبه أمير المؤمنين عليه السلام حسب نزول القرآن، فإن كان مقصود الكاتب أن الترتيب والتسلسل الخاطئ هو بهذا اللحاظ فهو صحيح. (التحرير).

والسرد المشوّش للقصص الواردة في القرآن. الفئة الرابعة تشمل إضافة كلماتٍ يزعم الشيعة أنّه تمّ حذفها أو إسقاطها في النسخة الرسميّة، هذه الإسقاطات أو الحذف المزعوم استهدف غالبًا اسم «عليّ»، وأسماء الأئمّة الآخرين، التي تدلّ على خلافتهم أو قيادتهم.

زعم «بار آشر» أنّه قام بإدراج الآيات التي تعود للشيعة بشكلٍ واضحٍ في مصنّفه، لكنّه اعترف أنّ الشيعة لم يقوموا بأيّ محاولة لدسّ تلك الآيات في أيّ نسخة من النسخ الرسميّة لسببٍ غير معروفٍ، وقال في هذا المضمار: «في ظلّ هذا الرفض للنصّ السنّيّ، للمرءِ بطبيعة الحال أن يتوقّع قيام الشيعة بإدراج هذه النسخ البديلة والإضافات في النصّ القرآنيّ، أو على الأقلّ، الاستناد عليها في الفتاوى وتضمينها في الطقوس، إلّا أنّه في الحقيقة -وبقدر ما أعرف- لم يتخذ الشيعة الإماميّة أيّ إجراء لتقنين قراءاتهم المتعدّدة[١].

بعد دراسة «بار آشر» أعدّت العديد من الدراسات في السياق نفسه، منها الكتاب الذي أصدره «جيرالد هوتنج» عام ١٩٩٣ تحت عنوان «مقاربات القرآن»، إلّا أنّه لم يتوفّر لدي؛ لذا سأنتقل إلى الكتاب الصادر عن «أمير معزّي» الذي ناقشت أجزاءً منه في الفقرات السابقة، والأجزاء المتبقّية سآتي على مناقشتها في الفقرات الأخرى. ويبقى بحثٌ أخيرٌ يجدر بي التطرّق إليه.

نشر «حسين المدرّسي» مقالاً عام ١٩٩٣ تحت عنوان «مناقشات مبكّرة حول سلامة القرآن»، وصنّف مقاله كـ«دراسة استقصائيّة موجزة»[٢]. يعدُّ مقاله من الدراسات الأكثر استفاضةً وكثافةً، حيث إنّه يتطرّق إلى تاريخ صياغة النصّ القرآنيّ الرسميّ، وإلى الاختلافات النصيّة أيضًا. لا تختلف هذه الدراسة كثيراً عن سابقاتها، باستثناء محورٍ واحدٍ تفرّد به «حسين المدرّسي» في مقاله، حيث طرح الكاتب مناقشة تفصيليّة تدرس إمكانيّة إضاعة بعض الأجزاء من النصّ الأصليّ وعدم إدراجها في النسخة

[1]- Momen, Shi'i Islam, pp. 19.

[2]- Daftary, The Isma'ilis, p. 37.

العثمانيّة. لا يستند «حسين» في دراسته على الوثائق الشيعيّة، بل على أحداثٍ وردت في الروايات السنيّة. استشهد «حسين المدرّسي» بالكثير من الأمثلة، نكتفي بذكر بعضٍ منها؛ الأول: رويَ أنّ عمر في مرّة كان يبحث عن نصّ آية محدّدة، فاكتشف أنّ القارئ الوحيد الذي كان يمتلك تدوينًا لها، كان قد قُتِلَ في معركة اليمامة. الثانيّ: إنّ عمر تذكّر الآية التي تنصّ على عقوبة الرجم للزاني والزانية، لكن بما أنّه لم يجد من يؤيّد استذكاره للآية، لم يتمّ إدراجها في القرآن. الثالث: قول عائشة -الزوجة الأصغر لمحمّدﷺ- إنّ الصحيفة التي دُوّنَت الآية عليها أكلها حيوانٌ أليفٌ كان قد اقتحم المنزل[1]. أمّا بقيّة المقال كان شموليًّا ومكتوبًا بشكلٍ جيّدٍ، ويتوافق إلى حدٍّ كبيرٍ مع النقاط التي تمّت مناقشتها في الأعمال السابقة.

وخلاصة القول، إنّ تواجد قراءات متعدّدة ومتباينة للقرآن -بعد وفاة محمّدﷺ- واضح ومتعارف عليه عالميًّا، لكن من غير تحديد عدد المتغيّرات واختلافها عن النسخة العثمانيّة. وهذه الحالة من عدم اليقين منحت الشيعة بابًا لادّعاء وجود نصٍّ أصليٍّ يمنح الشرعيّة لعليّ وأهل بيت محمّدعليهم السلام لقيادة الأمّة. كما أنّ حالة عدم اليقين هذه،وفّرت فرصة مقابلة لخصوم الشيعة تخوّلهم نسبة هذه الآراء زورًا للشيعة، وذلك بهدف تصويرهم كهراطقة، وبالتالي تشويه سمعة مذهبهم.

معظم الأعمال الأكاديميّة الاستشراقيّة خلصت إلى استنتاجٍ مفاده: أنّ الشيعة لم يحاولوا يومًا تغيير النسخة الرسميّة من القرآن، على الرغم من الفائدة العظيمة العائدة عليهم من ذلك الفعل أو المحاولة. كما أنّ عددًا قليلاً من المتغيّرات والاختلافات النصيّة التي ظهرت يمكن نسبتها للشيعة، والسورتان اللّتان تم اكتشافهما [سورة النور وسورة الولاية] زائفتان وملفّقتان.

أمّا ما تبقّى لنا لاستكمال هذه الدراسة، فهو البحث عن الطرق التي يدّعي فيها الشيعة تحريف المصحف العثمانيّ، ومحاولة الكشف عمّا إذا كانت تلك الادّعاءات

[1]- Marshall G. S. Hodgson, “How did the Early Shi’a Become Sectarian?” (Journal of the American Oriental Society, vol. 75, 1955, pp. 1-13), p. 2.

صادرة عنهم فعلاً، أم أنّه تمّت نسبتها إليهم باطلاً من قبل خصومهم.

## خامسًا: ادّعاءات الشيعة بتحريف القرآن

ولا بدّ في المقام من تقديم صورة واضحة للقارئ تبيّن موقف الباحثين من مسألة الاختلافات النصيّة؛ لذا سأتناول مسألة ذات صلة وثيقة بالموضوع، وهي مزاعم الشيعة وخصومهم التي تشير إلى أنّ النصّ القرآنيّ تمّ تحريفه عمدًا؛ لذا سأتطرّق إلى بحث إمكانيّة وجود تحريف في النصّ، بالإضافة إلى مسألة كون الادّعاءات بالتغيير أو التحريف عقيدة خاصّة بالشيعة أم لا[١].

يبدو أنّ هناك أربعة احتمالات تدور في فلك مسألة التشيّع وتغيير القرآن:

**الأوّل:** في بادئ الأمر، لم يكن للشيعة أي دور في طرح مزاعم التغيير النصّيّ، بل السنّة هم من شرعوا بنشرها.

**الثاني**: الشيعة ادّعوا أنّ النصّ القرآنيّ تعرّض للتحريف.

**الثالث**: لم يدّعِ الشيعة تحريف القرآن، وقالوا إنّ المصحف العثمانيّ مطابق بشكلٍ كاملٍ لكلام محمّدﷺ.

**الرابع:** ادّعى الشيعة أنّ مصحف عثمان محرّف، إلّا أنّهم يقبلونه بكلّ الأحوال.

وبخلاف التحقيقات الأكاديميّة التي تناولت موضوع الاختلافات النصيّة -والتي تمّت مناقشتها فيما سبق-، لم يتطوّر الإجماع العلميّ حول المسألة عبر الزمن، حيث إنّ الباحثين كانوا قد توصّلوا إلى الاستنتاجات الأربعة في دراستهم لمسألة تحريف القرآن، منذ القرن العاشر الميلاديّ حتى الفترة المتأخرة[٢]. وبناءً على ذلك، سأطرح

[١]- أشرنا في حاشية سابقة إلى آراء علماء الشيعة بعدم وقوع التحريف في القرآن الكريم. (المعربة)

[2]- Montgomery W. Watt, The Majesty that was Islam (London: Sidgwick and Jackson, 1974), p. 68. The Encyclopaedia Islamica expresses a clearly-defined opinion on this: "There was… a Shi'at 'Ali… at the very latest immediately after the death of the Prophet". Encyclopaedia Islamica, 2nd. ed., s.v. "Shi'a", p. 350.

مقاربةً للموضوع عبر عرض تلك الاحتمالات الأربعة واحدًا تلو الآخر.

الخيار الأوّل؛ وهو الأكثر متانةً ودقّة تاريخيًّا، لكنّه الأقلّ انتشارًا. هذا الخيار يحتوي على عناصر دقّة لا جدال فيها. يتّهم بعض الشيعة -خصوصًا أولئك الّذين يقولون بقبول النسخة القرآنيّة الرسميّة- أعداءهم، بأنّهم هم من خلقوا مسألة التحريف، بهدف تكفيرهم. ناقش «حسين المدرّسي» هذا الجانب باستفاضة[١]. والمفاجئ أنّ هذا الخيار يبدو -على الأقلّ جزئيًّا- صحيحًا إلى حدٍّ بعيدٍ، فمن الواضح أنّ الشيعة لم يكونوا المبتدعين لفكرة التحريف، حيث إنّ الأمّة الإسلاميّة كانت مدركة للمشكلة قبل وقتٍ طويلٍ من وجود المذهب الشيعيّ. وقعت معركة اليمامة بعد فترةٍ قصيرةٍ من وفاة محمّدﷺ -وفقًا لمصادر إسلاميّة تقليديّة-، حيث قُتِلَ العديد من الحفّاظ، وهذا ما ألهمَ الأمّة بضرورة جمع القرآن. كما أنّ المجتمع الإسلاميّ كان مدركًا حقيقة أنّ صيانة القرآن لم تعد مضمونة، بل ومعرّضة للخطر أيضًا. وفي هذه الواقعة -أي معركة اليمامة- عرف الناس أنّ المدوّنين الوحيدين لآياتٍ محدّدةٍ قد قُتِلوا، وهذا ما يدلّل على أنّ فقدان أو تضييع النصوص كان يشكّل مشكلةً في تلك المرحلة المبكّرة، وذلك قبل وجود الشيعة، بل قبل وجود ما يسمّى بحزب عليّعليه السلام حتّى[٢].

يقول «حسين المدرّسي» إنّ الروايات التي تتمحوّر حول التغييرات النصيّة وفقدان عددٍ من الآيات بقيت فكرة شائعة في الأوساط السنيّة في الأعوام القليلة التي تلت وفاة النبيّﷺ[٣]، كما أنّه فصّل عمليّة تحوّل تلك الثغرات والتغييرات المزعومة إلى ما أسماه «رسائل علميّة ضخمة» في الأدب السنّيّ[٤]. لكن سرعان ما بدأ أفراد من الساخطين، بالاحتجاج على هذه الادّعاءات السنيّة. ولمواجهة هذا التحدّي، قال

[1]- Shahrastani, in Vadet, trans. Shahrastâni's, Les dissidences de l'islam, p. 146.

[2]- Etan Kohlberg, "Some Imami Shi'i views on the Sahaba", in Belief and Law in Imami Shi'ism (Hampshire, U.K.: Variorum, 1991, article IX), p. 146.

[3]- W. Montgomery Watt, "The Rafidites: A Preliminary Study" (Oriens, vol. 16, 1993, pp. 110-121), p. 112.

[4]- Kennedy, The Prophet, p. 52.

«حسين المدّرسي» إنّ السنّة بدأوا بتجاهل التدوينات النصيّة التي تشير إلى تحريف الآيات، بل وذهبوا أبعد من ذلك إلى حظر تلك التدوينات والنهي عن تداولها. ومع مرور الوقت، بدأت روايات التحريف تلك تُنسَب إلى الشيعة، في الوقت الذي كانوا فيه يلتمسون الطرق لتقويض السلطات الأمويّة المتصلّبة. ووفقًا لـ«حسين المدرّسي»، بدأ الشيعة لاحقًا باعتماد بعض روايات التحريف[١]، وفيما بعد تسّربت

[١]- وردت بعض الروايات في تراث الشيعة استفاد منها بعض الباحثين ورأوا أنّها تدل على تحريف القرآن، ولكن علماء الشيعة قد ناقشوا في هذه الروايات سندًا ومتنًا، فلا شيء منها يفيد التحريف في القرآن، ونقدّم بعض النماذج على ذلك:

روى الكليني بإسناده عن علي بن سويد، قال: كتبتُ إلى أبي الحسن موسىعليه السلام وهو في الحبس كتابًا ـ وذكر جوابهعليه السلام، إلى أن قال: «أُوْتمنوا على كتاب الله، فحرّفوه وبدّلوه». (الكليني، الكافي، ج٨، ص١٢٥). وغيرها من الروايات المتّحدة معها في المضمون والتي يظهر منها بدواً وقوع التحريف والتبديل.

هذه الرواية لا تدل على وقوع التحريف بالمعنى اللفظي في القرآن الكريم، وإنّما تدل على التحريف المعنوي في فهم القرآن وشرحه وتفسيره على خلاف المراد الجدي لله تعالى من معنى الآيات، فيحرّفون الكلم عن مواضعه والتحريف كما تطلق ويراد بها التحريف اللفظي كذلك تطلق ويراد بها صرف اللفظ عن معناه المراد منه إلى معنى آخر غير مراد للمتكلم، كما ورد في بعض الروايات: «وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه، وحرفوا حدوده، فهم يروونه ولا يرعونه...» (م.ن، ص٥٣). فهذه تدل بوضوح على أن المقصود هو الحفاظ على اللفظ والعبارات وتحريف المعنى المراد.

ومنها: ما رواه الكليني بإسناده عن أبي بصير، عن أبي عبد اللهعليه السلام في قول الله تعالى: (من يُطعِ اللهَ ورَسُولَه -في ولاية عليّ والأئمّة من بعده- فَقَد فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) (سورة الأحزاب، الآية: ٧٧) هكذا نزلت». (الكلينَي، الكافي، ج١، ص٤١٤).

وقد أجاب العلماء عن هذه الروايات بأنّها على فرض صحتها السنديّة فإنّها ناظرة إلى التفسير، يقول السيد الخوئي: «إنّ بعض التنزيل كان من قبيل التفسير للقرآن وليس من القرآن نفسه، فلا بدّ من حمل هذه الروايات على أنّ ذكر أسماء الأئمّة في التنزيل من هذا القبيل، وإذا لم يتمّ هذا الحمل فلا بدّ من طرح هذه الروايات لمخالفتها للكتاب والسُنّة والأدلّة المتقدّمة على نفي التحريف». البيان في تفسير القرآن، ص٢٣٠.

والشاهد على ذلك، عن أبي بصير قال: سألتُ أبا عبد اللهعليه السلام عن قول الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أطِيعُوا الله وأطِيعُوا الرَّسُولَ وأولي الأمر منْكُم) (سورة النساء، الآية: ٥٩). قال: فقال: «نزلت في عليّ بن أبي طالب والحسن والحسين». فقلت له: «إنّ النَاس يقولون: فما له لم يسمّ عليًا وأهل بيته في كتاب الله ؟ قالعليه السلام: «فقولوا لهم: إنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله نزلت عليه الصلاة ولم يسمّ لهم ثلاثًا ولا أربعًا، حتّى كان رسول اللهصلى الله عليه وآله هو الذي فسّر لهم ذلك». (الكافي، ج١، ص٢٨٦).

ومن الأحاديث ما رواه الكليني بإسناده عن عمران بن ميثم، عن أبي عبد اللهعليه السلام، قال: «قرأ رجل على أمير المؤمنينعليه السلام: (فإنَّهم لا يُكذّبُونَكَ وَلكن الظَّالمينَ بآيات الله يَجْحَدُون) (سورة الأنعام، الآية: ٣٣) فقالعليه السلام: بلى والله لقد كذَّبوه أشدّ التكذيب، ولكنّها مخفّفة (لا يكذبونك) لا يأتون بباطل يكذبون به حقّك». الكافي، ج٨، ص٢٠٠.

وعلى فرض صحة هذه الرواية، فإنّها تفيد أنّها قراءة خاصّة للقرآن الكريم، فلا تصلح للقول بالتحريف، لأن القراءة شيء ونص القرآن شيء آخر، والدليل أنّها برسم واحد لو لم نحركها (يكذبونك)، والقرآن منقول إلينا بالتواتر، وهذه القراءات منقولة بطريق الآحاد، فالاختلاف في كيفية الكلمة أو حركتها لا ينافي الاتفاق على أصلها. (التحرير)

إلى التراث الروائيّ الشيعيّ ونُسِبَت إلى الأئمّة باطلاً[١]. وفيما بعد، انقلبت الأدوار، وبدأ الخصوم باتّهام الشيعة بالقول بتحريف القرآن، بل وشرع السنّة المتأخرون باتّهام الشيعة بابتداع فكرة التحريف لمخالفة إجماع المسلمين، وخصوصًا السنّة[٢].

أعتقد أنّ الطرح الأكاديميّ الأوّل الذي يشير إلى احتماليّة وجود علاقة بين التشيّع وتحريف القرآن -غير ترجمة السورتين- جاء به «جولدتسيهر»، حيث أصدر عام ١٩١٣ سلسلة من المحاضرات، بعضها تمّ إدراجها في كتابه المذكور سابقًا (اتّجاهات التفاسير الإسلاميّة للقرآن). ادّعى «جوزيف إلياس» أنّ الاستنتاجات التي استخلصها «جولدتسيهر» حظيت بقبولٍ مطلقٍ من قبل الباحثين الإسلاميّين في جميع أنحاء العالم[٣]. انتقل «إلياس» لاحقًا إلى تفنيد استنتاجات «جولدتسيهر» على الشكل الآتي:

**الأوّل**: ادّعاء الشيعة أنّ المصحف العثمانيّ ليس القرآن الصحيح الذي جاء به محمّدﷺ، وأنّه تمّ إسقاط أو حذف بعض الآيات والسور، بالإضافة إلى تغيير التسلسل النصّيّ.

**الثاني**: إنّ عليًّا كان يمتلك النسخة الحقيقيّة من القرآن، وجرى تناقلها عبر الأئمّةعليهم السلام إلى أن وصلت إلى الإمام الثاني عشر الذي يمتلكها الآن.

**الثالث**: وفي فترة غياب الإمام المهديّعجل الله فرجه، يجب على المؤمنين قبول النسخة العثمانيّة والعمل بها[٤].

[1]- Watt, «The Rafidites,» p. 112.

[2]- See above, note. 55.

[3]- See above, p. 28.

[4]- Momen, Shi'i Islam, p. 199.

في حين أنّ «إلياس» لم يؤيّد جميع الاستنتاجات، حظيت تلك بقبول العديد من الباحثين وتأييدهم، كـ«فون غرونيبوم» الذي كتب ما يلي: «اتّهم الشيعة مؤلّفي المصحف بتعمّد حذف آيات معيّنة، أو سورة كاملة من شأنها أن تؤيّد عقائدهم»[١]. وكما ذكرت مسبقًا، لم يهتمّ «غرونيبوم» بتقديم أي إيضاح يدعم هذا الكلام، كما أنّني لم أجد أي باحث ممّن يطرحون هذا الرأي، يقدّمون دليلاً كافيًا لتعزيز مدّعاهم، كما أنّ معظمهم يتطرّق إلى المسألة بشكلٍ عابرٍ[٢]. في المقابل، من المرجّح أن يكون علماء لاهوت تاريخ الأديان (علم الهرطقة)، هم أوّل من خلقوا فكرة ربط التشيّع بتحريف القرآن، و«أمير معزّي» استند في كتبه على أعمالٍ، هي بدورها قائمة على أساس الرأي الذي يعتقد بتحريف النسخة الرسميّة، وعلى القراءات الإماميّة الباطنيّة. حتى «أمير» يبدو متردّدًا في إلصاق نظريّات التحريف بالشيعة بشكلٍ كاملٍ. وعلى الرغم من أنّ المنهج الذي اتّبعه يُبطِل معظم مصادره، إلّا أنّ «أمير» يقول بشكلٍ واضحٍ: «الشكوك بشأن سلامة القرآن من قبل الإماميّة ليس له أساس تاريخيّ»[٣].

وفي المقام سوف نستعرض الخيار الثالث، ومن ثمّ نعود إلى إلقاء الضوء على الخيار الثاني بشكلٍ سريعٍ. كان الإسلام الشيعيّ في العديد من محطّاته التاريخيّة واضحًا بشأن قبول القرآن الرسميّ، وبشكلٍ خاصٍّ في محطّتين أساسيّتين، وهما: عصوره الأولى، ومرحلة ما بعد الغيبة التي تمتّد إلى يومنا هذا.

استعرض «حسين المدرّسي» تاريخ الاعتقاد بتحريف النصّ ووصفه بالـديناميكيّ والمتحرّك». بدايةً، وكما أسلفنا، أظهر أنّ الادّعاءات الأولى بالتحريف جاءت من قبل السنّة، وحتى وقتٍ متأخّرٍ من القرن الثاني الهجريّ، لم يدّعِ الأئمّة عليهم السلام ذلك. والدليل على ذلك أنّ العلوم والنصوص الشيعيّة المتأصّلة احتوت على قائمة من الاعتراضات والامتعاضات تجاه الخلفاء الثلاثة، لم يكن من ضمنها مسألة تحريف

[1]- Lewis, History: Remembered, Recovered, Invented, pp. 11ff.

[2]- Lewis, History, p. 50.

[3]- Momen, Shi'i Islam, pp. 61ff.

القرآن[١]. وفي وقتٍ لاحقٍ، حين بدأ السنّة بتجاهل نظريّات التحريف واستبعادها، بدأ الشيعة بقبولها.

بيّن «أمير معزّي» أنّ التشيّع كان في أكثر مراحله باطنيّةً في العهود الإماميّة الأولى، فكان الشيعة في الوقت عينه يتظاهرون بالتوافق مع المعايير الاجتماعيّة القائمة من جهة، ويتّبعون سرًّا تعاليم الإمام المُبتَدَعة من جهةٍ أخرى. لاحقًا، بلغت درجة الباطنيّة ذروتها في عهد الإمامين الخامس والسادس [الباقر والصادق عليهما السلام]، ومعظم النظريّات الثيو-صوفيّة كانت وليدة تلك الفترة[٢]. كما شهدت الفترة نفسها أقصى حدود المزاعم القائلة بتحريف القرآن. من جهةٍ أخرى، يعتقد الشيعة أنّ المصحف الرسميّ «قرآنٌ صامتٌ»، بعكس الإمام الذي يعتبرونه «القرآن الناطق»[٣]. وبعد غيبة الإمام المهديّ عجل الله فرجه، تغيّر كلّ شيء، حيث لم يعد الشيعة قادرين على الوصول إلى قرآنهم الناطق [الإمام]، فلم يبقَ لديهم سوى القرآن العثمانيّ كصلة وصلٍ مع اللّه -بصرف النظر عن الأبواب والعلماء-[٤]، لذا اضطرّ الشيعة إلى قبول هذه النسخة.

يعتقد الشيعة أنّ القرآن الرسميّ موثوق وسليم، لكن يختلفون في قضيّة تسلسل الآيات وتغيير الحركات. هذا القبول التام لخّصه تصريح «الشيخ ابن بابويه الصدوق» -في القرن التاسع عشر، والذي جاء فيه: «اعتقادنا أنّ القرآن الذي أنزله اللّه تعالى على نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله هو ما بين الدفّتين، وهو ما في أيدي الناس، ليس بأكثر من ذلك، ومبلغ سوره عند الناس مئة وأربع عشرة سورة»[٥].

[1]- Bernard Lewis, "The Shi'a in Islamic History", in Martin Kramer, ed. Shi'ism, Resistance, and Revolution (Boulder, Colorado: Westview Press, 1987), p. 24.

[2]- Watt, The Majesty that was Islam, p. 66.

[3]- Montgomery W. Watt, "The Significance of the Early Stages of Imami Shi'ism," in Nikki R. Keddie, ed. Religion and Politics: Shi'ism from Quietism to Revolution (New Haven: Yale University Press, 1983), p. 21.

[4]- Wilfred Cantwell Smith, Islam in Modern History (Princeton: Princeton University Press, 1977), p. 120.

[5]- Cf. any study of linguistic theory from the death of Ferdinand Saussure (1857-1913) to the pres-

أكّد «الطباطبائيّ» اعتقاده بموثوقيّة القرآن من خلال سكوته، حيث ناقش في كتابه «الشيعة في الإسلام» موقف الشيعة إزاء القرآن، ولم يأتِ على ذكر -ولو لمرّة واحدة- احتماليّة وجود تغيير أو تحريف في القرآن، أو أنّ بعض الشيعة عبر التاريخ كانوا يعتقدون ذلك. وفي الحقيقة، ذهب «الطباطبائيّ» إلى أبعد من ذلك، ورفض قاعدة التأويلات الباطنيّة للآيات، فقال: « إنّ القرآن لا يستخدم أسلوب الألغاز في طريقة عرضه للمواضيع، إنّما يشرحها بأسلوبٍ وكلماتٍ تتناسب مع كلٍّ منها»[١].

قد لا يبدو مفاجئًا كون الخيارين الثاني والثالث يبدوان مشوّشين وغير متّسقين، والواقع أنّ العديد من المستشرقين تبنّوا هذا الرأي. حيث قال «فون غرونيبوم»: «لم يتمكّن الشيعة أنفسهم من التوصّل إلى اتّفاقٍ فيما بينهم يؤكّد تحريف النصّ المقدّس من قبل خصومهم»[٢]. هذا الالتباس والغموض الذي يخيّم على موقف الشيعة إزاء القرآن، يمكن حلّه عن طريق الخيار الرابع، الذي يفيد بأنّ الشيعة يعتقدون بتحريف القرآن بصورة أو بأخرى، إلّا أنّهم يقبلونه بكلّ الأحوال. هذا هو الاستنتاج الذي خلص إليه «جوزيف إلياس» في مراجعته لادّعاءات «جولدتسيهر»، كما أصبح الاستنتاج الأكثر مقبوليّةً في الوسط الأكاديميّ.

وهذا الحلّ يعود بنا إلى مبدأ التقيّة الخاص بالشيعة. لا يبدو أنّ الشيعة -على الأرجح- في يومٍ من الأيّام كانوا قادرين على قبول القرآن الرسميّ بشكلٍ كاملٍ، وذلك بسبب مذهبهم الذي يحتّم عليهم الاعتقاد بأنّ محمّدًا ﷺ كان قد نصّبَ عليًّا عليه السلام خليفة له، وحيث لم تأتِ الأحاديث السنيّة والقرآن العثمانيّ بشواهد يعتقد الشيعة بأنّ محمّدًا ﷺ كان قد كشف عنها، لذا يميلون إلى الإيمان بأنّ شيئًا ما، في وقتٍ ما، قد تمّ حذفه. يفسّر «بار آشر» هذه الازدواجيّة بقوله إنّ الشيعة تبنّوا «موقفًا استعلائيًّا

ent.

[1]- Mark C. Taylor, Erring: A Postmodern A/ theology (Chicago: The University of Chicago Press, 1984), p. 54.

[2]- Taylor, Erring, p. 66. Italics in original.

متشدّدًا على المستوى العقائديّ النظريّ»، إلّا أنّ خوفهم المستمرّ من الاضطّهاد، أجبرهم على تبنّي «موقف براغماتيّ يشمل اعتمادهم للمصحف العثمانيّ»[١].

يبدو أنّ استنتاجات «جوزيف إلياس» ستصبح القاعدة أو المعيار بالنسبة للمجتمع العلميّ، حيث تمّ نقلها والاستشهاد بها في معظم الأعمال المكتوبة التي أتت بعدها[٢]. كما أنّها تُعدُّ عرضًا -على إيجازه- شاملاً ووافيًا للموضوع، يستند إليه الكثير من الباحثين في أعمالهم.

وبصرف النظر عن كون «جوزيف إلياس» غير مدركٍ لنطاق ما تسمح به التقيّة للشيعة بكتم معتقداتهم وإخفائها، أعتقد أنّ أنسب ما يمكن أن أختتم به هذا البحث هو هذه الاستنتاجات: «إنّ الشكل المقبول للقرآن لدى السنّة، هو نفسه المقبول لدى الشيعة الإماميّة. كما أنّهم لا يؤمنون بتحريف محتوى المصحف العثمانيّ، بل يعتقدون ببعض التغييرات الطارئة على ترتيب السور وبعض الآيات المختلطة (باستثناء بعض الاختلافات الناجمة عن القراءات المتعدّدة)، وأنّ عليًّا والأئمّة الـ١١ عليهم السلام من بعد محمّد صلى الله عليه وآله يتفرّدون بمعرفة الترتيب الصحيح للقرآن[٣]».

[1]- 124 Cf. G. E. von Grunebaum, “Self-Image and Approach to History”, in Bernard Lewis and P. M. Holt, eds., Historians of the Middle East (London: Oxford University Press, 1962), pp. 457-483.

[2]- Bernard Lewis, “The Shi’a in Islamic History”, p. 24.

[2]- Momen, Shi›i Islam, p. 61.

## لائحة المصادر والمراجع


1. القرآن الكريم.
٢. ابن سعد، الطبقات، دار صادر، بيروت.
٣. البرسي، الحافظ رجب، مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين، تحقيق: السيد علي عاشور، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ١٤١٩-١٩٩٩.
٤. السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقق: زمرلى، فواز أحمد، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ١٤٢١.
٥. الشريف الرضي، نهج البلاغة، تحقيق: الشيخ محمد عبده، ط١، دار الذخائر، قم – إيران، ١٤١٢-١٣٧٠ش.
٦. الشيخ الصدوق، الاعتقادات في دين الإمامية، تحقيق: عصام عبد السيد، ط٢، دار المفيد، بيروت – لبنان، ١٤١٤-١٩٩٣.
٧. الشيخ الصدوق، الاعتقادات في دين الإمامية، تحقيق: عصام عبد السيد، ط٢، دار المفيد، بيروت – لبنان، ١٤١٤-١٩٩٣.
٨. الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا، تصحيح وتعليق وتقديم : الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت – لبنان، ١٤٠٤-١٩٨٤.
٩. الشيخ الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، ط١، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٩.
١٠. الشيخ المفيد، أوائل المقالات في المذاهب المختارات، تحقيق: الشيخ إبراهيم الأنصاري، ط٢، دار المفيد، بيروت – لبنان، ١٤١٤-١٩٩٣.
١١. الطباطبائي، الشيعة في الإسلام، تعريب: السيد أحمد الحسيني.
١٢. الطباطبائي، القرآن في الإسلام، ط١، بيت الكاتب – بيروت.
١٣. الطبرسي، الاحتجاج، تعليق وملاحظات: السيد محمد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر – النجف الأشرف، ١٣٨٦-١٩٦٦.
١٤. العسقلاني، ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ط٢، دار المعرفة، بيروت – لبنان.
١٥. العلامة الحليّ، كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين، تحقيق: حسين الدركاهي، ط١، ١٤١١.

١٦. العياشي، تفسير العياشي، تحقيق: الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلاميّة، طهران.

١٧. القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي، تصحيح وتعليق وتقديم: السيد طيب الموسوي الجزائري، ١٣٨٧.

١٨. الكليني، الكافي، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، ط٥، دار الكتب الإسلامية – طهران، ١٣٦٣ش.

١٩. المعتزلي، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٦١.

٢٠. المفيد، الاختصاص، تحقيق: علي أكبر الغفاري، السيد محمود الزرندي، ط٢، دار المفيد، بيروت – لبنان، ١٤١٤-١٩٩٣.

٢١. المفيد، المسائل السرورية، تحقيق: صائب عبد الحميد، ط١، دار المفيد، بيروت – لبنان، ١٤١٤-١٩٩٣.

٢٢. الهلالي، سليم بن قيس، كتاب سليم، تحقيق: محمد باقر الأنصاري الزنجاني، ط١، ١٤٢٢-١٣٨٠.

## لائحة المصادر الأجنبيّة

1. Cf. G. E. von Grunebaum, “Self-Image and Approach to History”, in Bernard Lewis and P. M. Holt, eds., Historians of the Middle East (London: Oxford University Press, 1962).

2. al-Amin, Islamic Shi’ite Encyclopedia, vol. 1.

3. al-Hilli, quoted in Eliash, ‘Ali b. Abi Talib.

4. Bernard Lewis, “The Shi’a in Islamic History”, in Martin Kramer, ed. Shi’ism, Resistance, and Revolution (Boulder, Colorado: Westview Press, 1987).

5. Bernard Lewis, “The Shi’a in Islamic History».

6. Cf. any study of linguistic theory from the death of Ferdinand Saussure (18571913-) to the present.

7. Cf. Momen, Shi’i Islam, “The Conferment of the Imamate by Designation

or Covenant".

8. E.g. Daftary, The Isma'ilis; Philip K. Hitti, History of the Arabs: From the Earliest Times to the Present (London: The MacMillan Press Ltd., 1970); Marshall G. S. Hodgson, The Venture of Islam. vol. 1: The Classical Age of Islam (Chicago: The University of Chicago Press, 1974); and W. Montgomery Watt, The Formative Period in Islamic Thought (Edinburgh: Edinburgh University Press, 1973).

9. Eliash quotes from Rodwell's interpretation, citing it as verse 5:60, and he only mentions that part of the verse cited above.

10. Encyclopaedia Islamica, 1913 sqq. ed. and 1960 ed., searching under "'Ali ibn. Abi Talib," "Shi'a," "Muhammad," "pen," "ink," "saqifa," "Banu Sa'ida," and "Sa'ida".

11. Etan Kohlberg, "Some Imami Shi'i views on the Sahaba", in Belief and Law in Imami Shi'ism (Hampshire, U.K.: Variorum, 1991, article IX.

12. Gimaret, trans. Shahrastani's Livre des religions, note 16.

13. John L. Esposito, Islam: The Straight Path (New York: Oxford University Press, 1988.

14. Kennedy, The Prophet.

15. Khan, The Right Path, vol. I, note 2.

16. Lewis, History: Remembered, Recovered, Invented.

17. Mark C. Taylor, Erring: A Postmodern A/ theology (Chicago: The University of Chicago Press, 1984).

18. Marshall G. S. Hodgson, "How did the Early Shi'a Become Sectarian?" Journal of the American Oriental Society, vol. 75, 1955.

19. Montgomery W. Watt, "The Significance of the Early Stages of Imami Shi'ism," in Nikki R. Keddie, ed. Religion and Politics: Shi'ism from Quietism to Revolution (New Haven: Yale University Press, 1983).

20. Montgomery W. Watt, The Majesty that was Islam (London: Sidgwick and Jackson, 1974). The Encyclopaedia Islamica expresses a clearly-defined opinion on this: "There was… a Shi'at 'Ali… at the very latest immediately after the death of the Prophet".

21. Muhammad Ben 'Abd al-Karîm Shahrastâni, Les dissidences de l'islam, trans. Jean-Claude Vadet (Paris: Librairie Orientaliste Paul Geuthner S.A., 1984).

22. Quoted in al-Amin, Islamic Shi'ite Encyclopedia, vol. 1.

23. Donaldson, The Shi'ite Religion.

24. Sharafuddeen, vol. 2.

25. S. Husain M. Jafri, Origins and Early Development of Shi'a Islam (Librairie du Liban, London, 1979).

26. Shahrastani, in Vadet, trans. Shahrastâni's, Les dissidences de l'islam.

27. Shehabi, "Shi'a".

28. Tabataba'i, Shi'ite Islam, note 11, for more, and full, references.

29. The following account is taken from al-Bukhari's "genuine" (sahih) collection of hadiths, accessed from the Internet (Linkname: Hadith Bukhari (English Translation); URL: http://www.isnet.org/cgi-bin/hadith/bukhari), trans. and ed. anonymous, Volume 1, Book 3, Number 114.

30. Though al-Amini writes that the Ghadir Khumm did occur on 18 Dhu'l-Hijja.

31. W. Montgomery Watt, "The Rafidites: A Preliminary Study" (Oriens, vol. 16, 1993).

32. Wilfred Cantwell Smith, Islam in Modern History (Princeton: Princeton University Press, 1977).